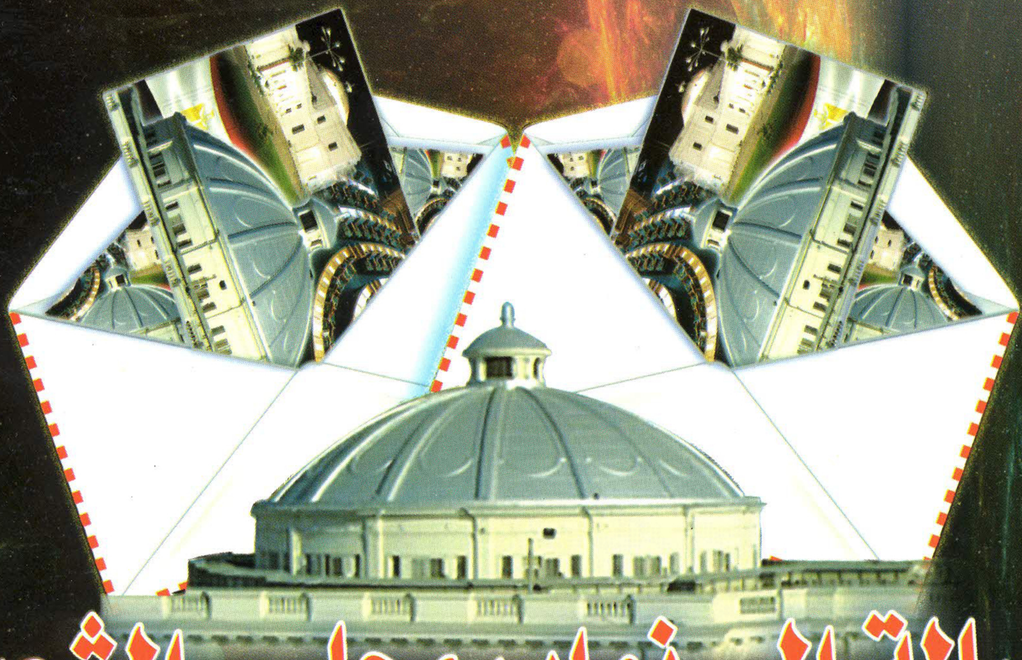
التوحيد

صناعة الإعلام .. وصياغة الرأي العام

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية   تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية   العدد ٤٨٤ - السنة الحادية والأربعون - ربيع الآخر ١٤٣٣ هـ   الثمن جنيهان

الأمة بين بيعات طُرُقية .. وبيعات حزبية !!



رسالة إلى نواب مجلس الشعب

- استنهاض الهمم للعمل للإسلام
- الإصلاح لا يتأتى بالتخريب !!
- كيفية التعامل مع الإشاعات والأراجيف

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الحادية والأربعون

العدد ٤٨٤

ربيع الآخر ١٤٣٣هـ



التحرير

٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة

ت:٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت:٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٤٥٦-٢٣٩١٥٥٧٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

السلام عليكم

رسالة إلى مجلس الشعب

يا مجلس الشعب؛ أنتم بمثابة الأمناء على هذه البلاد، أنتم أول مولود شرعي لأبوين كريمين هما الشعب والجيش، قضى الله تعالى لهذا المولود أن يُولد بسلام، فإن شبَّ هذا المولود بارًا بوالديه ولم يكن عاقًا لهما، ونشأ في طاعة الله؛ أدامه الله وأيده، وأثابه وثبته، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وتذكروا أنه قد كان قبلكم قوم نكثوا فانتكسوا.

يا مجلس الشعب؛ أنتم بعثُ الله على مَن سبقوكم، أزاحهم الله بكم وأحلكم محلهم؛ لأنهم جحدوا فضل الله وعصوه بنعمه عليهم، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم، ولا تأمنوا مكر الله.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر قريش؛ أنتم أهل هذا الأمر (القيادة) ما أطعتم الله، فإن عصيتموه بعث الله عليكم من يلحاكم (ينزع عنكم ثوب الخلافة والمُلك)، كما يُلحى هذا القضيب»، وأزال النبي صلى الله عليه وسلم قشر سواك في يده.

يا مجلس الشعب؛ لا تغفُلوا حين يبرق المُلك، فما أحلى بريقهُ، وأشدَّ حريقه، فأصلحوا قلوبكم وبواطنكم، كما أصلحتم ظواهركم.

سدد الله خطاكم.

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

في هذا العدد



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة «حساب رقم / ١٩١٥٩٠»

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الالكترونى التالي :
q.tawheed@yahoo.com

التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية   مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد



الأمة بين بيعات طرقية وبيعات حزبية

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله مالك الملك، يعطيه من يشاء، ويمنعه من يشاء، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

البيعة: تُطلق ويراد بها الصفقة على إيجاب البيع، وعلى المبايعة والطاعة والمعاهدة، والمراد بها هنا: إعطاء العهد من المبايع على السمع والطاعة للإمام في غير معصية الله، وذلك في العسر واليسر والمنشط والمكره، وقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على أمور منها: البيعة على الإسلام وهي أعلى أنواع البيعة وأوجبها، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس عليها، ومن أدلة القرآن عليها قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾» [الممتحنة:١٢].

نكث البيعة على الإسلام كُفر!!

ومن أدلة السنة عليها ما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «بايعني على الإسلام، فبايعه على الإسلام، ثم جاء الغد محمومًا، فقال: أقلني، فأبى، فلما ولى قال: المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها» [متفق عليه].

وقد دل الحديث على أن نكث البيعة على الإسلام كفر، وقد ترجم البخاري لهذا الحديث بقوله: «باب من نكث بيعة» فتح الباري (جـ١٣/٢٢٠٥).

ومن أنواع البيعة: البيعة على النصرة والمَنَعة، وقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم وفد الأنصار عند العقبة عليها، وتعتبر هذه البيعة أول عقد في الدولة الإسلامية قامت على أساسه دولة المدينة النبوية، وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة. قال: فقمنا إليه فبايعناه». [أخرجه أحمد في مسنده ج٣/٣٢٢، والحاكم في المستدرك، وصححه ووافقه الذهبي ج٢/٦٢٤].

البيعة على السمع والطاعة للحاكم المسلم!!

وقد جاء في هذا الحديث إشارة إلى نوع آخر من أنواع البيعة، وهي البيعة على السمع والطاعة للحاكم المسلم في المعروف، وإذا أُطلقت كلمة البيعة الآن انصرفت إليها، وهي التي تعنينا هنا؛ لأنه لا إمامة إلا بعد عقد البيعة، ولذلك بادر الصحابة رضي الله عنهم إليها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وعقدوها لأبي بكر رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة، ثم وقعت من عامة الصحابة بعد ذلك في المسجد، وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع خطبة عمر رضي الله عنه الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم. قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم – حتى يَدْبُرَنا- يريد بذلك أن يكون آخرهم، فإن يكُ محمد صلى الله عليه وسلم قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورًا تهتدون به بما هدى الله محمدًا صلى الله عليه وسلم، وإن أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني اثنين، فإنه أولى الناس بأموركم، فقوموا فبايعوه، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة. قال ابن حجر: «وكل ذلك في يوم واحد». [فتح الباري جـ١٣/٢٠٨].

وقد ذهب ابن تيمية إلى أن مبايعة أبي بكر رضي الله عنه كانت من جمهور الصحابة، حيث قال: «فالمسلمون اختاروه وبايعوه؛ لعلمهم بأنه خيرهم، كما قال له عمر يوم السقيفة بمحضر المهاجرين والأنصار: أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينكر ذلك أحد، وهذا أيضًا في الصحيحين». [منهاج السنة ج٢/٥١].

الخلافة والاستخلاف

وبيعة أبي بكر بالطريقة المذكورة تدل على أن المسلمين رشحوه للخلافة ورضوا به، وهذه طريقة تنعقد بها الإمامة، أما تولية أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فوقعت بطريق الاستخلاف؛ حيث استخلفه الصديق - رضي الله عنه - وهي طريقة صحيحة إذا كان المستَخْلَفُ مكتمل الشروط، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كذلك، فلم يجد أبو بكر رضي الله عنه مثل عمر ليتحمل هذه الأمانة، وهي قيادة الأمة، وقد كان أفضل الصحابة في وقته.

قال ابن عمر - رضي الله عنهما -: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم». [البخاري ٣٦٥٥].

قال الإمام أحمد: «وخير الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر». [رسالة السنة ٨٧].

الأدلة على جواز الاستخلاف

وقد استدل العلماء على جواز استخلاف الإمام لأحد بعده بحديث عائشة رضي الله عنها: قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: «ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر». [مسلم: ٢٣٨٧].

ومن الأدلة على جواز الاستخلاف إجماع الصحابة، فلم تذكر الروايات أحدًا خالف وقال: عهد أبي بكر لعمر لا يجوز، وقد حكى هذا الإجماع الماوردي فقال: «وأما انعقاد الإمامة بعهد مَن قبله فهو مما انعقد الإجماع على جوازه، ووقع الاتفاق على صحته». [الأحكام السلطانية/ ٣٩].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن أبا بكر - رضي الله عنه - استشار أفاضل الصحابة في ترشيح عمر للخلافة، ولم يفرضه عليهم فرضًا، بل اجتهد في النصيحة لهم بعد مشورتهم، وهذا ما تؤكده الروايات التاريخية في ذلك. يقول ابن الأثير: «لما نزل بأبي بكر -رضي الله عنه- الموت دعا عبد الرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر، فقال: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، عمر أفضل رجل إلا أنه فيه غلظة، فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رفيقًا، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه، وقد رمقته فكنت إذا غضبت على رجل أراني الرضا عنه، وإذا لنت له أراني الشدة عليه، ودعا عثمان بن عفان وقال له: أخبرني عن عمر، فقال: سريرته خير من علانيته وليس فينا مثله». [الكامل ص٢٩١، ٢٩٢].

وهذا يدل على ترشيح أهل الحل والعقد لعمر رضي الله عنه ورضاهم به، وأن خلافته وقعت عن رضا منهم وبايعوه.

قال ابن كثير وهو يتحدث عن نهاية عهد الصديق ومرضه: «وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان، وقرئ على المسلمين فاقروا به وسمعوا له وأطاعوا». [البداية والنهاية ٤/١٨].

بيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه

وأما عن بيعة عثمان رضي الله عنه فقد ساقها البخاري في

من أنواع البيعة: البيعة على النصرة والمنعة، وقد بايع النبي ﷺ وفد الأنصار عند العقبة عليها، وتعتبر هذه البيعة أول عقد في الدولة الإسلامية قامت على أساسه الدولة في المدينة النبوية !!



صحيحه في حديث طويل تحت باب بعنوان: «باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان رضي الله عنه، وفيه بعد ذكر طعن عمر رضي الله عنه ودخول كثير من الناس عليه أنهم قالوا له: «أَوْص يا أمير المؤمنين استخلفْ. قال: ما أحد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فسمى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له -، فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة..»، فلما فرغ من دفن عمر رضي الله عنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلامُ لينظرَّ أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليَّ، واللهُ عليَّ لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما: فقال: لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لأن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال: مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له عليّ، وولج أهل الدار فبايعوه. [البخاري: ٣٧٠٠].

وهكذا تمت البيعة لعثمان رضي الله عنه بإجماع الصحابة، قال الإمام أحمد: «لم يجتمعوا على بيعة أحد ما اجتمعوا على بيعة عثمان». وسُئل عن خلافة النبوة فقال: «كل بيعة كانت بالمدينة». وعقب الإمام ابن تيمية على ذلك بقوله: وهو كما قال، فإنهم كانوا في آخر ولاية عمر أعز ما كانوا وأظهر ما كانوا قبل ذلك». [منهاج السنة النبوية ج٦/١٥٤].

جواز العهد دون تعيين المعهود إليه

ويُستفاد من قصة تولية عثمان رضي الله عنه: جواز العهد إلى أشخاص معينين دون تعيين المعهود إليه بعينه، ويرى ابن تيمية أن السبب في عدم التعيين رعاية المصلحة، وشدة ورع عمر رضي الله عنه. [منهاج السنة ج٦/١٤٧].

وبعد استشهاد الخليفة الصابر عثمان رضي الله عنه تولى الخلافة والإمارة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد أتى إليه جمع من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير، وقالوا له: إنه لا بد للناس من إمام. قال: لا حاجة لي في أمركم، فمن اخترتم رضيت به، فقالوا: ما نختار غيرك وترددوا إليه مرارًا، وقالوا له في آخر ذلك: إنا لا نعلم أحدًا أحق به منك ولا أقدم سابقة ولا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلا في المسجد. [انظر الكامل لابن الأثير ٣/٩٨].

وقد ذكر الطبري في تاريخه روايات متعددة تفيد أن الصحابة - رضوان الله عليهم - رشحوا عليًا للخلافة وبايعوه عليها. [انظر ج٥/٤٢٧- ٤٨٦].

وخلافته رضي الله عنه خلافة راشدة صحيحة، وهو آخر الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - ويلاحظ من الروايات أن عليًا رضي الله عنه لم يكن حريصًا على الإمارة، وإنما قبلها بعد

البيعة على السمع والطاعة للحاكم المسلم في المعروف، وإنه لا إمامة إلا بعد عقد البيعة، ولذلك بادر الصحابة رضي الله عنهم بعقد البيعة لأبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم



إلحاح كثير من الصحابة عليه؛ خوفًا من ازدياد الفتن بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

وبعد سردي التاريخي لبيعة الخلفاء الراشدين، وهم أفضل الأمة بإطلاق بعد النبي صلى الله عليه وسلم، يتبين لنا كيف تمت البيعة لهم، وهي دائرة بين ترشيح أهل الحل والعقد بالاختيار، أو الاستخلاف، وفي كل الأحوال كانت تقع البيعة للإمام بموافقة أهل الحل والعقد، كما يظهر لنا أن البيعة بيعة واحدة في الإمامة العظمى لا غيرُ.

بيعة أصحاب الطرق لمشايخهم بيعة باطلة مبتدعة !!

وإن بيعة أصحاب الطرق «لمشايخهم» وما يحدث في بعض الجماعات المعاصرة بيعة باطلة مبتدعة لا أصل لها في الشرع، ومخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار - رضوان الله عليهم أجمعين - وعليه فيجب الحذر منها أو الوقوع فيها، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يحذر منها فيقول: «وليس للمعلمين أن يحزِّبوا الناس، ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء، وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهدًا بموافقته على كل ما يريده، وموالاة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كانَ من جنس جنكيز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقًا مواليًا، ومن خالفهم عدوًا باغيًا، بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم». [مجموع الفتاوى: ١٥/٢٨، ١٦].

وللشيخ بكر أبي زيد رحمه الله كلمات دقيقة حول هذا المعنى يقول فيها: «فاعلم أن في الإسلام بيعة واحدة في الإمامة العظمى، هي البيعة الجامعة، تنعقد بموافقة أهل الشوكة والحل والعقد في الأمة، سواء حصلت تلك البيعة بطريق محبوب إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كبيعة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أو بطريق الغلبة، وهذه هي التي يحصل بها للإمام ولي أمر المسلمين مقاصد الولاية: القدرة، والسلطان، والشوكة، والمنعة، فيقيم حكم الإسلام، كإقامة الحدود وقسمة الأموال، ونصب الولاة...، وما زال أمر الأمة على هذا ماضيًا فجرَّت بدعة الطرقية (البيعة الرضائية)، ويقال: (البيعة الاستثنائية)، ويقال: (عهد المشايخ)، ويقال: (عقد الطريق)، ويقال: (ميثاق الطريق)، وهذه بيعة محدثة، لا دليل عليها من كتاب ولا سنة ولا عمل صحابي، وقد أنكرها جماعة من العلماء، وشددوا النكير على فَعلتها، وأنه لا أصل لها، ثم انتقلت بمسلاخ آخر إلى بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة، حتى بلغ الحال إلى وجود عدة جماعات من ورائها عدد من العهود والبيعات في بلد واحد، وكل واحدة منها تدعو إلى ما هي عليه دون ما عليه الأخرى، فضاع من بينهم الميثاق النبوي لجماعة المسلمين: «ما أنا عليه وأصحابي»، وهكذا تقطع جسم الأمة بين بيعات طرقية في أجواف الزوايا إلى بيعات حزبية في المواجهة، وصار الشباب في حيرة إلى أي حزب ينتمي، ولأي رئيس تنظيم يبايع، والبيعة عهد وعقد يقتضي الولاء والبراء». [حكم الانتماء ١٦١، ١٦٣].

نسأل الله أن يعصمنا من الزلل، وأن يولي أمورنا خيارنا، ولا يولي أمورنا شرارنا، وأن ينجينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

استدل العلماء على جواز استخلاف الإمام لأحد بعده بحديث عائشة رضي الله عنها، وقد استشار أبو بكر رضي الله عنه أفاضل الصحابة في ترشيح عمر للخلافة، ولم تفرض عليهم فرضًا !!



كلمة التحرير

الفتن بين ضياع الأمن ونشر الفوضى والتآمر على مصر!!

بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وبعدُ:

إن التأمل فيما يقع من حولنا من أحداث متسارعة، يجعل الإنسان ينظر فلا يجد إلا إيلامًا يوجع القلب، فيعيد النظر متفكرًا ومتدبراً علّهُ يجد إجابة لما يحدث، فالأمنُ قد اختل، وتزعزعت أركانه! فضاعت معه أهم مطالب الحياة السعيدة، وانتشرت الفتن، وكثرت التحزبات والائتلافات، كل فصيل يبحث عن مكاسب دنيوية، وانتشر القتل، والنهب، والسرقة، عشرات يلقون حتفهم، ومئات المصابين، في منظر لم تشهده أرض مصر من قبل، وفضائيات تحرِّض على الفوضى والعصيان المدني، يقف خلفها أناسٌ تلطخت أيديهم بالتآمر على مصر، ومخططات غربية وأمريكية لنشر الفوضى، ومحاولة إذلال مصر وأهلها ببعض المعونات، وأيادي التحريض والتخريب متلطخة صباح مساء، ومحاولات بث الوقيعة والفتنة مستمرة كل يوم لإشعال وإذكاء طائفية بغيضة، وهبّة من أبناء مصر ومشايخها للحفاظ على كرامة مصر الأبية، التي يأبى رب العزة سبحانه أن تُذل.

والمؤامرات مستمرة، وراءها ستشم رائحة إسرائيل ومَنْ يتبارون في الغرب للدفاع عن مصالحها، وسط ما يرونه صحوة إسلامية، تريد أمريكا والغرب الالتفاف حولها بكل الوسائل والطرق المخابراتية والتآمرية!!!

إنها الفتن التي قال عنها نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم: «تُعْرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها، نُكتَ فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكت فيه نُكتة بيضاء، حتى تعود القلوب إلى قلبين، قلب أبيض كالصفاء لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، وقلب أسود مربادًا كالكوز مُجخيًا (أي مقلوبًا) لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه» [مسلم: ١٤٤]. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

زمن كثرت فيه الفتن.. وعمت الفوضى

لقد اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يبتلي عباده بما يمحّصهم، ليتبين الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، والطيب من الخبيث، وذلك بالفتن التي تموج كموج البحر، فتكون هي كبر القلوب، ومحك الإيمان، وبها يتبين الصادق من الكاذب، ومن يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، ومن يقف عند حدود الله ممن تتلاعب به الأهواء.

ولقد بَيَّنَ المولى سبحانه عندما تحدث عن الفتن بمعنى الاختبار والابتلاء كما قال تعالى عن موسى عليه السلام: «وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا» [طه:٤٠] أي: ابتليناك واختبرناك، وقال سبحانه: «أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» [العنكبوت:٢]، أحسبوا أن نتركهم بلا اختبار ولا ابتلاء، فالله سبحانه يختبرهم بأمور كثيرة؛ من الشدة والرخاء، والمال والنساء، والحسب والنسب، والحرب والأمن، والشدة والخوف، وتأتي الفتنة بمعنى العذاب، كقوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ» [البروج:١٠] أي: عذبوهم وحرّقوهم، وقال عز وجل: « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ » [النحل:١١٠] أي: أوذوا.

والفتنة تأتي في القرآن الكريم بمعنى الشرك والكفر كقوله تعالى: «وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ» [البقرة:١٩٣] أي: لا يكون شرك، وقال: «وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ» [البقرة:١٩١]، وتأتي بمعنى الصد عن سبيل الله كقوله تعالى: «وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ» [المائدة:٤٩]، وتأتي بمعنى اشتباه الحق بالباطل كقوله تعالى: « وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ » [الأنفال:٧٣].

وهذا الاشتباه جاء في حديث: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي» [مسلم ٢٨٨٧]، وهي أيضا تأتي بمعنى اختلاف الناس وعدم اجتماع قلوبهم، كقوله تعالى: «لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ» [التوبة:٤٧].

وإذا نظرنا في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وجدنا أن الفتن لها أوصاف، منها كبار ومنها صغار، وكَانَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنه يقول: وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا بِي إِلاَّ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ: «مِنْهُنَّ ثَلاَثٌ لاَ يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ، مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ». [مسلم ٢٨٩١].

> **إن ما يدور من حولنا من أحداث قتل وترويع وخطف، ونهب وسرقات، وحرائق، وتهديد للآمنين صباح مساء يشير إلى أياد عابثة تدبر في الخفاء لنشر الفوضى وإشعال البلاد.**

فتن تقلب القلوب وتدميها

وكذلك فإن الفتن تُحدث انتكاسًا للناس، فيرى الرجل حلالاً ما كان يراه حرامًا، والعكس، كما دل عليه الحديث، فإنها تتفاقم وتتعاظم وتنتشر، قال صلى الله عليه وسلم «إن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مُهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه» [مسلم ٤٨٨٢]. يعني تكون الأولى أهون من الثانية، وتُنسي شدةُ الثانية هولَ الأولى، والفتنة قد تكون في بعض الأزمان والأماكن تصل بالمرء إلى أن يتمنى الموت، وقد أشار إلى ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه» [متفق عليه - البخاري (٦٦٩٨)، ومسلم (١٥٧)]، وهذا حال المؤمن الذي يصل به الخوف على ذهاب دينه، وغلبة الباطل وأهله، وظهور المنكرات والمعاصي لدرجة أنه يتمنى أن يموت الآن قبل أن يُفتن، فإنه يرى أن الموت خير له من أن يُفتن في دينه!!

ومن صفات الفتن أنها تذهب بعقول الرجال في وقت من الأوقات، كما قال عليه الصلاة والسلام يصف ذلك: «يقتل بعضكم بعضًا، حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه، وذا قرابته». فقال بعض القوم: ومعنا عقولنا ذلك اليوم!! فقال: «لا. تُنزع عقول أكثر ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس لا عقول لهم»[ابن ماجه ٣٩٥٩ وصححه الألباني] يعني: لا قيمة لهم بمنزلة الغبار.

وهذه الفتن تقع وتتطور وتخرج عن حدود السيطرة، ويعرفها العلماء إذا أقبلت، بينما الجهلاء والعامة لا يعرفونها إلا إذا أدبرت، وتتزين في مباديها لتغري بالتورط فيها، ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التعرض لها فقال: «مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ

وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ» [متفق عليه: البخاري (٣٤٠٦)، ومسلم (٢٨٨٦)].

وكذلك قال علي رضي الله عنه: «إن في الفتن انتكاسًا للفطر، تأتي الفتنة العمياء الصماء المطبقة التي يصير الناس فيها كالأنعام»، والأثر موقوف على عليّ رواته ثقات.

ومن الفتن فتن لا تدع بيتًا إلاّ دخلته، قال صلى الله عليه وسلم: « ست من أشراط الساعة.. وذكر منها: فتنة يدخل حرها بيت كل مسلم» [أخرجه أحمد (٢٢٨/٥، برقم ٢٢٠٤٥) وصححه الألباني برقم ٣٦٠٨ في صحيح الجامع].

وأيضا لا تدعُ أحدًا إلا لطمته، وكذلك فإنها تقلب القلوب، وتجعل فيها النكت السوداء، حتى تصبح مُنْتكسَة، وأما قلوب أهل الإيمان فإنها تبقى صافية نقية لا يتشربها شيء من دخان هذه الفتن!!

الموقف الشرعي.. ومسئولية أهل العلم

إن ما يدور من حولنا من أحداث قتل وترويع، وخطف ونهب، وسرقات وحرائق، وتهديد للآمنين صباح مساء، وأياد عابثة تدبر في الخفاء نشر الفوضى، وإشعال البلاء سواء كان ذلك بإيعاز من أناس لتحقيق مصالح دنيوية حقيرة، أو كان أداة لتنفيذ المؤامرات من الداخل والخارج؛ ممن اجتمعوا على كراهيتهم لبلادنا، وهم يعيشون تحت سقفها، يستظلون بظلها، ويشربون من نيلها، ويسرقون أهلها، ويسرقون نعيمها ويحرّضون الفئات، مندسين بين الجماعات في المصانع والميادين، غرضهم دنيء، وهدفهم ليس بريئًا، وهم لهم كارهون!!

وفي خضم تلك الفتن، وهذه المؤامرات لا بد أن يعي الإنسان ما يدور حوله، وأن يعرف الموقف الشرعي من ذلك، وإنك لو نظرت إلى هذه الأحداث الكثيرة، والمستجدات المستطيرة، والمطالب البغيضة والنوايا السيئة، فإنك ستجد فيها أنواعًا مختلفة بحيث لا يمكن أن تطلق عليها حُكمًا واحدًا، ولا أن تقف منها موقفًا واحدًا، ولا أن تُعَمِّم عليها كلامًا واحدًا، ولذلك فإن معنى الاختلاط والاشتباه في الفتنة قائم الآن، والله تعالى يبتلي قادة الدعوة والعلم من المسلمين في المواقف، ويمتحنهم بما يُجريه من الأقدار، ماذا يفهمون؟! وكيف يحكمون؟! وبأي شيء يتكلمون؟! وعن ماذا يصدرون؟! وهذه أعظم المسئوليات الشرعية، ابتلاء العالم والداعية إلى الله بهذه الأقدار الإلهية التي ينظر ربنا فيها ماذا يقولون، وماذا يعملون، وسيجازي الله الجميع كل بحسب عمله، ونسأل الله السلامة والعافية.

فتن الفضائيات بين التضليل والتهييج

وما يقع من فتن تسببت فيه بعض الفضائيات

في خضم تلك الفتن، وهذه المؤامرات، لابد أن يعي الإنسان ما يدور حوله، وأن يعرف الموقف الشرعي من ذلك، وإنك لو نظرت إلى هذه الأحداث الكثيرة، والمستجدات المستطيرة، والمطالب البغيضة، والنوايا السيئة، فإنك ستجد فيها أنواعا مختلفة لا يمكن إسقاط حكم واحد عليها!!

التي تدسُ السُمَّ في العسل، وأصبح شغلها الشاغل هو استخدام وتلميع وجوه تخصصت في تخريب هذا البلد، وإشعال النار في مكل مكان، بين تحريض، وتهييج، وكذب، وإشاعات، وتأجيج لكل ما هو ساكن، فالهدف منهم وممن يمولونهم من أسيادهم في الخارج، أن تعم الفوضى وينكسر الأمن، وتنكسر معه هيبة الدولة، تنفخ بالكير في خبث الحديد، وليست مجزرة بورسعيد بعيدة عن الأيادي التي شاركت في الفتن، من فضائيات، ومواقع، وفيسبوك، أجّجت بينهم الأحقاد والتعصب الأعمى الذي استغله المتآمرون بين فتنة صغيرة ينتسبون إلى ما يسمون أنفسهم بـ «الألتراس»، فهذا أهلاوي، وألتراس زملكاوي، وهذا بورسعيدي، وآخر إسماعيلي، وتصيدتهم أيادي المتآمرين الذين خططوا ومولوا، هان عليهم أبناء جلدتهم، من خيرة شبابهم بدلاً من أن يحتضنوهم، أوقعوهم في تنفيذ مجازر في كل مكان، وعدسات مصوري الفضائيات جاهزة في إستاد بورسعيد كي تنقل للعالم أجمع تلك الهمجية التتارية، لتحول مباراة في كرة القدم إلى مذبحة، تبث فيها الرعب والخوف والهلع، وتنقل الفوضى العارمة إلى العالم كله، مصوِّرة أن هذه مصر!! تنفيذًا دقيقًا لما دبروه بليل!!

يأتي كل هذا مع تخاذل أمني نضع أمامه عشرات من علامات الاستفهام، مع تمنينا لعودة أمنية كبيرة تقضي على تلك المظاهر العاتية التي أصبحت من أبرز معالم مصر من أقصاها لأقصاها، وتباطؤ من القوات المسلحة في رد الفعل على الحادث.. مع كوننا نناشد كل إنسان مخلص يحب هذا البلد، ويخشى الله سبحانه ألاّ يستجيبوا للمؤامرات التي تهدف إلى ضرب القوات المسلحة وكراهيتها، وكسرها أمام المؤامرات الخارجية والداخلية، وسقوط الشرطة الذي يعني سقوط مصر، وانتشار الفوضى العارمة!!

ألا تفيقوا يا أصحاب الضمائر المنكوبة، والعقول الخربة؟!

إن التعصب الذي غذته أياد الغدر والخيانة والمؤامرات، والكراهية لمصر وأهلها؛ تعصب مذموم، وإذا وصل التعصب إلى التفريق بين أبناء الأمة الواحدة كما حدث في بورسعيد، وبدا الموقف فيه عداء بين أبناء الوطن الواحد بعد فقد العديد من خيرة شباب مصر أرواحهم بسبب التعصب غير المبرر، وهؤلاء لا يغضبون لله، وإنما يتقاتلون في عصبية عمياء وبعضهم يفقد حياته، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من قتل تحت راية عميَّة، يغضب للعصبية، أو يقاتل للعصبية، أو يدعو إلى العصبية فقتلةٌ جاهلية» [مسلم: ١٨٥٠].

العصيان.. والإضرابات.. والخسران المبين

ومع انتشار الفتن وضياع بعض الأمن.. شهدت البلاد والعباد أوضاعًا وضربات في كل منحى من مناحي الحياة بين مطالب المستغلين، وحقوق الفقراء، ممن ضاقت بهم السبل، وذاقوا مرارة العيش، بحثًا عن رغيف عيش يستغله المستغلون من أصحاب سرقة حقوق الناس، وأسطوانة بوتاجاز يعجز الإنسان عن الحصول عليها إلا بالتعرض للضرب والتهلكة، وبين محرضين أرادوا بعد أن وجدوا الصوت الإسلامي يعلو مناديًا بضرورة تطبيق شرع رب العالمين، فحاولوا نشر الفتن، وإشاعة الفوضى، والعصيان، صوروا للناس أنهم بذلك يدافعون عن حقوقهم حتى يتوقف كل شيء وتعم الفوضى، وتنكسر الدولة، حتى القوات المسلحة حاولوا أن يجعلوها في مأزق في ظل المؤامرات التي تواجهها من أعداء الداخل، ومؤامرات الخارج.

وبنظرة اقتصادية كاشفة ومختصرة في عدة كلمات؛ لو استجاب الناس لمؤامرة كسر مصر وهدمها انتظارًا لتنفيذ باقي المؤامرة بتقسيم مصر وتفتيتها، واستجاب الناس - لا قدَّر الله - للمنادين بالعصيان المدني ممن لا يعرفون شرع الله، ولا يتقون في شعبهم إلاً ولا ذمة، فإن الناتج المحلي الإجمالي للعام الماضي، يصل نصيب متوسط اليوم الواحد إلى نحو خمسة مليارات جنيه يوميًا، إن لم يكن يزيد على هذا الرقم!!

في الوقت الذي بلغ العجز في الميزان الكلي للمدفوعات خلال العام المالي الأخير عشرة مليارات من الدولارات كفرق بين موارد النقد الأجنبي البالغة ٦٤ مليار دولار، ومدفوعات النقد الأجنبي البالغة ٧٤ مليار دولار!!

وعلى الجانب الآخر فلا بد من استمرار استيراد السلع الأساسية والمشتقات البترولية، وكذلك استمرار الرحلات العلاجية والدينية، ودفع أقساط

> **إن ما يقع من فتن تسببت فيه بعض الفضائيات التي تدسُّ السم في العسل، وأصبح شغلها الشاغل هو استخدام وتلميع وجوه تخصصت في تخريب هذا البلد، وإشعال الفتن بين تحريض، وتهييج، وكذب، وإشاعات وتأجيج لكل ما هو ساكن**

وفوائد الديون الخارجية، ودفع نفقات الخدمات المالية والتامينية، والنتيجة انخفاض أرصدة الاحتياطي من النقد الأجنبي حتى بلغت ١٦ مليار دولار، وهو ما يعني قيمة واردات سلعية لثلاثة أشهر فقط أو تزيد قليلاً.

ومن هنا فإن تعطل الإنتاج في ظل عجز تجاري مزمن يعني زيادة الواردات السلعية لتغطية الاستهلاك المحلي، وهو ما يزيد الطلب على العملات الأجنبية، إضافة إلى أن الموازنة الحكومية مصابة بعجز مُزمن يتوقع وزير المالية في حكومة الجنزوري أن يصل إلى ١٤٢ مليار جنيه خلال العام المالي الحالي، وأقساط الديون الخارجية والداخلية ٩٩ مليار دولار.

وإذا كان عدد الأيدي العاملة في مصر يبلغ ٢٤ مليون شخص، يعمل منهم نحو ستة ملايين في الحكومة وقطاع الأعمال، فإن القطاع الخاص يقوم بتشغيل نحو ١٨ مليون شخص، ونسبة قليلة من هؤلاء لا يعملون بالقطاع الخاص المنظم مثل الشركات الاستثمارية!! فهل يتوقف الإنتاج استجابة للعاصين من أصحاب المطالبة بالعصيان والإضراب!!

فتن تقسيم مصر والتشكيك في الجيش والشرطة القضاء

ومع انتشار الفتن، وفضائيات الفتنة التي اختزلت شعب مصر في ميدان التحرير، ونشرت الفوضى بين كل فئات المجتمع، تنافست في نفس الخط والوقت مع إعلام غربي خبيث روَّج لديمقراطية زائفة قام بتغطيتها على حسب مصالح المدللة إسرائيل، مروجين لإحياء الفكرة المشبوهة القديمة حول المخطط المشبوه لتقسيم مصر إلى أربع دويلات: الأولى في سيناء وشرق الدلتا، وتكون تحت النفوذ اليهودي، والثانية مسيحية وتكون عاصمتها الإسكندرية، وتمتد حتى جنوب أسيوط، والثالثة في النوبة، والرابعة يطلقون عليها دولة البربر، ومصر

الإسلامية، وتكون عاصمتها القاهرة، لذا حاولوا إشعال النيران والفوضى في كل مكان مختزلين مصر كلها في ميدان التحرير، وماسبيرو، ومحمد محمود، ومجلس الوزراء، ويُسلط عليهم الضوء ليصاب البلد بحالة من الفوضى والشلل التام.

وإننا إذ نحذر على صفحات مجلتكم التوحيد من الوقوع في براثن مخططات هؤلاء المجرمين المارقين، والوقوع في مخطط إسقاط الدولة، بكسر مؤسسات الجيش والشرطة والقضاء، ثم تقسيمها بعد ذلك إلى أربع دويلات صغيرة في مخطط برنارد لويس الذي يتم عرضه على الكونجرس الأمريكي حاليًا.

ومن المعلوم أن مشروع برنارد لويس -وهو مؤرخ صهيوني متآمر- والذي كان قد وضع مشروعه التآمري منذ عام ١٩٨٠م عندما احتدمت الحرب العراقية الإيرانية، لتستطيع أمريكا من خلالها تصحيح حدود «سايكس بيكو»، وعقب إطلاق هذا التصريح وبتكليف من البنتاجون الأمريكي بدأ لويس بوضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية والإسلامية جميعًا، كل على حدة، ومنها العراق وسوريا، ولبنان ومصر والسودان، وإيران وتركيا وأفغانستان، وباكستان، والسعودية ودول الخليج، ودول الشمال الإفريقي، وتفتيت كل منها إلى مجموعات من الدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية، وقد أرفق بمشروعه المفصل مجموعة من الخرائط المرسومة تحت إشرافه تشمل جميع الدول العربية والإسلامية المرشحة للتفتيت.

المعونة الأمريكية.. والنوايا الخفية

إن أدلة الثبوت في قضية التمويل الأجنبي للمنظمات الأمريكية والألمانية تكشف أوراقها أن المعهدين الجمهوري والديمقراطي، نظموا برامج تدريب للأحزاب السياسية لرفع قدرتها على كيفية إدارة الانتخابات، وهو على عكس ما ذكره مسئولو هذه المعاهد أو الخارجية الأمريكية بأنهم لم ينخرطوا في هذا النوع من التدريب!!

وقد فجرت أدلة الثبوت مفاجأة مثيرة من خلال تقارير الرصد والفحص والتحري التي أجرتها الأجهزة الرقابية، وعلى رأسها جهاز المخابرات العامة لنظم عمل منظمات المجتمع المدني المتورط ٤٣ من بين مسئوليها وأعضائها في القضية بعد اتهامهم بتلقي تبرعات وتمويلات أجنبية دون ترخيص، والعمل داخل البلاد بالمخالفة للقوانين المصرية.

وقد كان رد الفعل الأمريكي والغربي مروعًا عندما أعلنت أمريكا بكل بجاحة عن نيتها في الانتقام من مصر وشعبها بعد القبض على العاملين في تلك المنظمات، بعدما أُعلن أن منظمة «فريدم هاوس» قامت بتسفير مئات المصرين إلى صربيا وبولندا وسويسرا وجنوب إفريقيا، وكذلك تدريب الأحزاب السياسية المصرية على إدارة الحملات الانتخابية، فقد كان المتدرب المصري يحصل على ما يعادل ١٣ ألف جنيه في الشهر من هذه المنظمات!!

> رد الفعل الأمريكي والغربي جاء مروعًا، عندما أعلنت أمريكا بكل بجاحة عن نيتها في الانتقام من مصر وشعبها بعض القبض على العاملين في تلك المنظمات، وتحويلهم للتحقيق، ولكن مصر الأبية ستظل شامخة بإذن الله، ولن تستطيع أمريكا أن تركعها

وفوجئت أمريكا والدول الأوروبية برد الفعل المصري على التهديد بقطع المعونة الأمريكية، مع أن الواقع يقول: إن أمريكا قد لا تستطيع قطع هذه المعونة التي بدأت منذ عام ١٩٧٩م بعد توقيع اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل بما كان يقدر بـ ٢,١ مليار، عبارة عن ١,١ مليار دولار معونة عسكرية إضافة إلى مليار دولار معونة اقتصادية في شكل سلع وخدمات، تم تخفيضها مع بداية الألفية الثالثة من مليار دولار إلى ٢٤٠ مليون دولار فقط.

وإننا إذا نظرنا إلى حجم الناتج القومي لمصر ١٣٠٠ مليار جنيه سنويًا، بما قيمته ٢١٦ مليار دولار، فإن المعونة الأمريكية تمثل نسبة ٠,٥٪ نصف في المائة من قيمة الناتج القومي، وبالتالي فإن تأثيرها على الناتج القومي ضعيف جدًا، وقد أذهلهم رد الفعل المصري المساند لما اتخذته الحكومة وقواتها المسلحة من عدم الإذعان للمخططات والضغوطات الأمريكية والغربية، وإعلان المبادرات من كل فئات الشعب، وعلى رأسهم مبادرة الشيخ محمد حسان؛ للتبرع لتعويض تلك المعونة بما يفوقها عشرات المرات، وقد كانت الاستجابة السريعة لهذه المبادرة جيدة بفضل الله تعالى.

فاللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين، واجعل اللهم هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين، «رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ» [الأعراف:٢٣].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هذه وظيفتنا

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

نائب الرئيس العام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

قال تعالى: « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) » [التوبة: ٧١].

انتهت الانتخابات، ونسأل الله تعالى أن يُوفِّق من اختارهم الشعب لما يحبه ويرضاه، وأن يُعينهم على الوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، كما نسأله سبحانه أن يُتِمَّ علينا الانتخابات الرئاسية بخير، حتى يتفق الناس على إمام لهم، ونسأل الله تعالى أن يكون إمام هدى، يحقق الله على يديه ما نرجوه من خير الدنيا والآخرة.

ولقد بُذِلَتْ في هذه الانتخابات جهود، وأُنْفِقَتْ أموال، وشارك في هذا كله الشيوخ والشباب، والرجال والنساء، ومعنى هذا أن لدينا طاقات، ولدينا جهودًا، ولدينا أموالا، ترى أين ستذهب هذه الجهود، وأين ستنفق هذه الأموال بعد الانتخابات؟!

يجب علينا أن نعلم أننا نحن أُمَّةَ محمد صلى الله عليه وسلم لنا وظيفة خلقنا الله لها، وهي أن نعبد الله وحده، وأن ندعو الناس إلى عبادته، قال تعالى: « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) » [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » [آل عمران: ١١٠]، فالإيمان بالله هو الذي يجعلنا نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو دعوتنا للناس إلى عبادة الله عز وجل.

ترى أين جهودنا المبذولة في الدعوة إلى الله، وكم نُنفق من أموالنا في سبيل الله؟! إنني أقول لهؤلاء الشيوخ والشباب، والرجال والنساء: لقد تحركتم إلى الناس، وزرتموهم في بيوتهم ومجالسهم وأسواقهم، ودعوتموهم إلى الانتخابات، فهلا دامت هذه الحركة وهذه الزيارة من أجل دعوة الناس إلى توحيد الله عز وجل، هلا زرتم الناس وغشيتموهم في بيوتهم ومجالسهم ومحلاتهم وطرقاتهم، ودعوتموهم إلى ذكر الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؟!

إن وظيفتنا هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي وظيفة رسولنا من قبلنا، قال الله تعالى في حق النبي صلى الله عليه وسلم: « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ » [الأعراف: ١٥٧]، وقال في حقنا: « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ» [آل عمران: ١١٠]، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر بالمعروف فقال: « خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾» [الأعراف: ١٩٩]، وأمرنا بما أمره به، فقال تعالى: « وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾» [آل عمران: ١٠٤]، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلنها صريحة أن وظيفته ووظيفة أتباعه هي الدعوة، فقال تعالى: « قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾» [يوسف: ١٠٨].

وفضل الدعوة عظيم قال تعالى: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾» [فصلت: ٣٣]، ففي هذه الآية التنبيه على شرف الدعاة والثناء عليهم، وبيان أنهم أحسن الناس قولاً؛ لأنهم يدعون الناس إلى الله، ويرشدونهم إلى اتباع الحق واجتناب الباطل، وفعل الخير وترك المنكر، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِه» [مسلم ١٨٩٣]، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا» [مسلم ٢٦٧٤]، ولما أعطى صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر لعليٍّ رضي الله عنه قال له: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم» [متفق عليه].

فتخيل أيها المسلم عظمة هذا الأجر الذي يأتيك من الدعوة إلى الله، تخيل إذا هدى الله على يدك مائة أو آلفا، كم يأتيك من الأجر؟! فهنيئًا لك أيها الداعية هذا الخير العظيم، فكيف تنشغل عن الدعوة إلى الله وتترك هذا الخير العظيم؟! أما علمت أنك حين تنشغل بالدعوة تنام ويأتيك أجر القائمين بسببك، وتفطر ويأتيك أجر الصائمين بسببك، وتموت ويأتيك أجر العاملين بدعوتك من بعدك، أو ما سمعت الله تعالى يقول: « إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾» [يس: ١٢]، وآثارهم تشمل آثارهم التي تركوها في الناس من خير أو شر، ولذلك قال الله تعالى: « يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ» [القيامة: ١٣]، أي بما قدم في حياته، وبما أخر بعد مماته، كما قال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» [مسلم ١٦٣١]، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ» [مسلم ١٠١٧].

أفلا يحملكم معشر الرجال والنساء، والشيوخ والشباب، الذين سهرتم الليالي في الدعوة إلى الانتخابات، أفلا يحملكم هذا الفضل العظيم على أن تسهروا الليالي من أجل الدعوة إلى الله، تدعون الناس سرًا وجهارًا، وليلاً ونهارًا، كما فعل الأنبياء، أما سمعتم الله يقول: « قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾» [يونس: ٥٨]، وأي فضل أعظم من أن يصطفيك الله للدعوة إليه، أما علمت أن هذه وظيفة المصطفين الأخيار من رسل الله وأتباعهم، فكما اصطفى الله الأنبياء من جملة الخلق للقيام بواجب الدعوة، اصطفى من جملة الأتباع من يقوم بهذا الواجب.

فلنحرص جميعًا على القيام بواجب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ذلك من موجبات رحمة الله، كما صرح الله تعالى في هذه الآية، ولنحذر من القعود عن هذه الوظيفة والانشغال عنها بالسياسة والساسة، فإن تركها من أعظم أسباب الطرد من رحمة الله، قال تعالى: « لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾» [المائدة: ٧٨- ٧٩]، وقد حذرنا الله من السكوت عن المنكر إذا فشا في الأرض، فقال تعالى: « وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾» [الأنفال: ٢٥]، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»

[البخاري ٢٤٩٣].

وقال أبو بكر رضي الله عنه: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)» [المائدة: ١٠٥]، أَلَا وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ لَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ اللهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ» [صحيح الترمذي للألباني (٣٠٥٧)].

فيا معشر الشيوخ والشباب، والرجال والنساء: نريد منكم توظيف هذه الطاقات، وتوظيف هذه الجهود التي بذلتموها في الانتخابات، نريد أن تبذلوها في الدعوة إلى الله. ويا أيها المرشحون الذين أنفقتم ما لا يعلمه إلا الله في الانتخابات، أنفقوا مما رزقكم الله في الدعوة إلى الله «عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ» [الإسراء: ٨].

ومن موجبات رحمة الله: إقامة الصلاة: قال تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (٣٥)» [المعارج: ٣٤ - ٣٥]، والجنة هي رحمة الله، كما في الحديث أن الله تعالى: «قَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ» [متفق عليه]. وفي القرآن الكريم قال تعالى: «يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ» [الإنسان: ٣١].

فإقام الصلاة من موجبات رحمة الله، وتركها من موجبات العذاب، قال تعالى: « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)» [مريم: ٥٩]، وقال تعالى: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)» [الماعون: ٤- ٥]، وقال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣)» [المدثر: ٣٨ - ٤٣].

فاتقوا الله عباد الله، وأقيموا الصلاة كما أمركم الله، ومروا بها أهليكم والناس أجمعين، قال تعالى: « وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا » [طه: ١٣٢]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» [صحيح أبي داود للألباني (٤٦٦)]))، وادعوا الناس إلى إقامتها، فإن الدعوة إلى إقام الصلاة من أولويات الدعوة إلى الله، كما في الحديث: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ» [متفق عليه].

ومن موجبات رحمة الله: إيتاء الزكاة: فمن أعطى زكاة ماله، طيبة بها نفسه، أدخله الله في رحمته، كما قال تعالى: « وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٩)» [التوبة: ٩٩]، ومن غلب عليه البخل والشح، فلم يؤد زكاة ماله عُذِّبَ به يوم القيامة، كما قال تعالى: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)» [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ، وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلُهُ: إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» [مسلم ٩٨٧].

وقال تعالى: « وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)» [آل عمران: ١٨٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي شِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ» ثُمَّ تَلَا «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ» الآيَةَ [البخاري ١٤٠٣].

فمن آتاه الله مالا فليؤدِ زكاته طيبةً بها نفسه، وليأمر بها أهله، فإن الله تعالى مدح إسماعيل u بقوله: «وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾» [مريم: ٥٥]، وليأمر بها الناس، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل وقد بعثه إلى اليمن: «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ» [متفق عليه].

ومن موجبات رحمة الله طاعة الله ورسوله، كما قال تعالى: «وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ» [التوبة: ٧١]، وقال تعالى: «وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾» [آل عمران: ١٣٢]، فطاعة الله ورسوله من موجبات رحمة الله، وعصيان الله ورسوله من موجبات العذاب، قال تعالى: «تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾» [النساء: ١٣ - ١٤].

وقد أكثر ربنا سبحانه وتعالى علينا في القرآن الكريم من الأمر بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾» [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾» [الأنفال: ٢٠]، وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾» [محمد: ٣٣]، وحذر سبحانه من مخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: «فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾» [النور: ٦٣]، وبيَّن سبحانه أن الذين عصوا الله ورسوله سيندمون يوم القيامة أشد الندم، فقال تعالى: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾» [النساء: ٤١ - ٤٢]، وقال تعالى: «وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾» [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]، وقال تعالى: «يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾» [الأحزاب: ٦٣ - ٦٦].

فلنوطن أنفسنا على السمع والطاعة لله ولرسوله، فإن ذلك عنوان الإيمان، كما قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾» [الأحزاب: ٣٦]، وقال تعالى: «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾» [النور: ٥١].

هذه هي وظيفتنا: «يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ» [التوبة: ٧١]، هذه هي وظيفتنا قبل قيام الدولة، وهذه هي وظيفتنا بعد قيام الدولة، قال تعالى: «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾» [النور: ٥٥ - ٥٦]، فهذه هي وظيفتنا قبل قيام الدولة، وهي الطريق إليها، ووظيفتنا بعد قيامها، قال تعالى: «وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾» [الحج: ٤٠ - ٤١].

فنحن أمة دعوة من قبل ومن بعد، وليس لنا أن نفرّط في هذه الوظيفة، وأن لا ننشغل عنها وأن لا نؤثر عليها شيئًا، ونسأل الله تعالى أن لا يحرمنا فضل الدعوة إليه، وأن يحشرنا يوم القيامة مع سيد الدعاة محمد صلى الله عليه وسلم. والحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

شروط الصلاة

الأماكن المنهي عن الصلاة فيها

إعداد / د. حمدي طه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، ثم أما بعد:

انتهينا في العدد السابق من الحديث عن شرط طهارة المكان للصلاة، ومن المناسبة لهذا الشرط الحديث عن الأماكن التي نهي عن الصلاة فيها؛ حيث ذكرها البعض عند الكلام عن هذا الشرط؛ لأنهم عللوا النهي عن الصلاة في أكثر هذه الأماكن بنجاستها، أو أنها مظنة النجاسة، وبعضهم علل النهي بأمور أخرى سيأتي بيانها.

الأماكن التي نهي عن الصلاة فيها:

أولاً: حكم الصلاة في هذه الأماكن: اعلم أن الأصل في شريعتنا جواز الصلاة في كل موضع من الأرض وأن هذا مما اختص الله به هذه الأمة كما في حديث: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي، وذكر فيها وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأينما أدركتني الصلاة صليت» [متفق عليه] إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن الصلاة في مواضع معينة، اختلف أهل العلم في الصلاة فيها، فكره الشافعية والحنفية الصلاة في هذه الأماكن، والكراهة تحريمية عند الحنفية؛ لثبوت النهي عنها في السنة، ويذكرونها عادة في شروط الصلاة عند طهارة المكان.

واختلفت الرواية عن أحمد رحمه الله في الصلاة في هذه المواضع، فروي أن الصلاة لا تصح فيها بحال، وعن أحمد رواية أخرى أن الصلاة في هذه صحيحة ما لم تكن نجسة، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي، ولأنه موضع طاهر فصحت الصلاة فيه كالصحراء. [المغني في فقه الإمام أحمد لابن قدامة المقدسي أبو محمد١/٧٥٣].

قال ابن رشد مبينًا سبب الخلاف في هذا: وسبب اختلافهم في حكم الصلاة في هذه المواضع تعارض ظواهر الآثار في هذا الباب وهي قوله عليه الصلاة والسلام: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي، وذكر فيها: وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأينما أدركتني الصلاة صليت» [متفق عليه]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا» [مسلم ١٨٥٦]، وما روى ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام نهى أن يُصلى في سبعة مواطن: في المزبلة، والمجزرة، والمقبرة، وقارعة الطريق، وفي الحمام وفي معاطن الإبل، وفوق ظهر بيت الله» [الترمذي ٣٤٦ وضعفه الألباني]، والثاني ما روي أنه قال عليه الصلاة والسلام: «صلوا في مرابض الغنم، ولا تصلوا في أعطان الإبل» [الترمذي ٣٤٨ وصححه الألباني].

فذهب الناس في هذه الأحاديث ثلاثة مذاهب: أحدها مذهب الترجيح والنسخ، والثاني مذهب البناء: أعني بناء الخاص على العام، والثالث مذهب الجمع.

فأما من ذهب مذهب الترجيح والنسخ فأخذ بالحديث المشهور، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»، وقال: هذا ناسخ لغيره؛ لأن هذه هي فضائل له عليه الصلاة والسلام، وذلك مما لا يجوز نسخه.

وأما من ذهب مذهب بناء الخاص على العام فقال: حديث الإباحة عام، وحديث النهي خاص، فيجب أن يبنى

الخاص على العام. فمن هؤلاء من استثنى السبعة مواضع. ومنهم من استثنى الحمام والمقبرة، وقال: هذا هو الثابت عنه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه قد روي أيضًا النهي عنهما مفردين. ومنهم من استثنى المقبرة فقط للحديث المتقدم. وأما من ذهب مذهب الجمع، ولم يستثن الخاص من العام، فقال: أحاديث النهي محمولة على الكراهة والأول على الجواز. [بداية المجتهد لابن رشد الحفيد ١/١١٨]. ولنبدأ بالكلام على حكم الصلاة في هذه الأماكن بشيء من التفصيل:

١- الصلاة في أعطان الإبل:

و«أعطان»: جمع عَطَن، ويُقال: مَعَاطِن جمع مَعْطَنٍ، وأعطان الإبل فُسِّرتْ بثلاثة تفاسير: قيل: مباركها مطلقًا، وقيل: ما تُقيم فيه وتأوي إليه، وقيل: ما تبرك فيه عند صدورها من الماء؛ أو انتظارها الماء. فهذه ثلاثة أشياء، والصَّحيح: أنه شامل لما تقيم فيه الإبل وتأوي إليه، كمَرَاحِها، سواءً كانت مبنيَّة بجدران أم محوطة بقوس أو أشجار أو ما أشبه ذلك، وكذلك ما تعطن فيه بعد صدورها من الماء. وإذا اعتادت الإبلُ أنها تبرك في هذا المكان، وإن لم يكن مكاناً مستقراً لها فإنَه يعتبر معطناً. أما مبرك الإبل الذي بركت فيه لعارض ومشت، فهذا لا يدخل في المعاطن؛ لأنه ليس بمبرك. [الشرح الممتع لابن عثيمين ٢/١٠٩].

وإلى تحريم الصلاة في معاطن الإبل ذهب أحمد بن حنبل، فقال: لا تصح بحال، وقال: من صلى في عطن إبل أعاد أبدًا، وسئل مالك عمن لا يجد إلا عطن إبل؟ قال: لا يصلي فيه. قيل: فإن بسط عليه ثوبًا؟ قال: لا. وقال ابن حزم: لا تحل في عطن إبل، وذهب الجمهور إلى حمل النهي على الكراهة مع عدم النجاسة، وعلى التحريم مع وجودها، وهذا إنما يتم على القول بأن علة النهي هي النجاسة، وذلك متوقف على نجاسة أبوال الإبل وأزبالها. [نيل الأوطار - الشوكاني ٢/١٤٠].

وعلل الشافعية عدم بطلان الصلاة في أعطان الإبل مع ورود النهي بقولهم: «فَإِنْ قِيلَ: فَإِذَا وَرَدَ النَّهْيُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ عَلَى مَا ذَكَرْتُمْ، فَلِمَ جَوَّزْتُمُ الصَّلَاةَ فِيهَا؟ وَهَلْ أَوْجَبَ النَّهْيُ بُطْلَانَ الصَّلَاةِ فِيهَا؟ قِيلَ: لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ فِي أَعْطَانِهَا؛ لِأَنَّهُ شَبَّهَهَا بِالشَّيَاطِينِ، وَهَذَا الْمَعْنَى لَا يُبْطِلُ الصَّلَاةَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَرَّ بِهِ فِي صَلَاةٍ شَيْطَانٌ وَلَمْ تَفْسُدْ صَلَاتُهُ. [الحاوى الكبير للماوردي].

واستدل الحنابلة بحديث أبي هريرة: «صلوا في مرابض الغنم، ولا تصلوا في أعطان الإبل»، والحديث في «الصَّحيح». ولحديث جابر بن سمرة: «أنَّ رجلاً سأل النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: أصلِّي في مرابض الغنم؟ قال: نعم. قال: أصلِّي في مبارك الإبل؟ قال: لا» [مسلم ٨٢٨]، ووجه الدَّلالة من كون الصَّلاة لا تصحُّ في معاطن الإبل: النهي عن الصلاة فيها، فإذا صليت فيها فقد وقعت فيما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك معصية، ولا يمكن أن تنقلب المعصية طاعة. وإذا؛ لا تصحُّ الصلاة. [الشرح الممتع لابن العثيمين ٢/١٠٩].

علة النهي:

وإنما ذكرنا هذا الأمر؛ لأنه متى أمكن تعليل الحكم، تعين تعليله وكان أولى من قهر التعبد ومرارة التحكم [المغني لابن قدامة ١/٧٥٤].

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في التَّعليل للنَّهي عن الصَّلاة في أعطان الإبل من حيث النظر، فقال بعضهم: إننا لا نعلم الحكمة، والحكم الشرعي الذي لا تُعلم حكمته يُسمَّى عند أهل العلم تعبُّديًا. قال القاضي: المنع من هذه المواضع تعبُّد لا لعلة معقولة. [المغني لابن قدامة ١/٧٥٤، والشرح الممتع لابن عثيمين ٢/١٠٩].

وقال بعض العلماء: بل لأنَّ أرواثها وأبوالها نجسة، وهذا مبنيٌّ على أنَّ الأبوال والأرواث نجسة؛ ولو من الحيوان الطَّاهر، والصَّحيح خلافه، ولكن هذه العلَّة باطلة؛ إذ لو كانت هذه هي العلَّة ما جازت الصَّلاة في مرابض الغنم؛ لأنَّ القائلين بنجاسة أبوال الإبل وأرواثها يقولون بنجاسة أرواث الغنم وأبوالها. [الشرح الممتع لابن العثيمين ٢/١٠٩].

وأيضًا قد قيل: إن حكمة النهي ما فيها من النفور فربما نفرت وهو في الصلاة، فتؤدي إلى قطعها أو أذى يحصل له منها، أو تشوش الخاطر الملهي عن الخشوع في الصلاة، وبهذا علل النهي أصحاب الشافعي وأصحاب مالك، وعلى هذا فيفرق بين كون الإبل في معاطنها وبين غيبتها عنها؛ إذ يؤمن نفورها حينئذ. قال الماوردي: «لِأَنَّ الصَّلَاةَ فِي الْأَعْطَانِ تُعَرِّي عَنِ الْخُشُوعِ؛ لِمَا يَخْشَى الْمُصَلِّي عَلَى نَفْسِهِ مِنْ نُفُورِ الْإِبِلِ، وَلَيْسَ لِلْغَنَمِ نُفُورٌ فَيَخَافُهُ الْمُصَلِّي فَيَسْقُطُ بِهِ خُشُوعُهُ». [الحاوى الكبير للماوردي ٢/٦٢٦].

واحتجوا بحديث ابن مغفل عند أحمد بإسناد صحيح بلفظ: «لا تصلوا في أعطان الإبل فإنها خُلقت من الجن ألا ترون إلى عيونها وهيئتها إذا نفرت» [صححه الألباني في الثمر المستطاب ١/٣٩١].

ويعكر على هذا الاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي إلى البعير، فهذا يدل على أن النهي ليس هو لاحتمال النفور؛ لأن هذا محتمل أيضًا في هذه الصورة الجائزة اتفاقًا، ولذلك فإني أرى أن النهي إنما هو بخصوص المكان المعطن والمبرك، فالحديث لا يفيد التفريق الذي مال إليه الشوكاني. [الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب للألباني ١/٣٩١].

وقال بعض أهل العلم: إنما نُهي عن الصلاة في مبارك الإبل أو أعطانها؛ لأنها خُلقت من الشياطين، فإذا كانت مخلوقة من الشياطين، فلا يبعد أن تصحبها الشياطين، وتكون أَعْطَانَ الْإِبِلِ مَأْوَى الشَّيَاطِينِ: لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَّهَ الْإِبِلَ بِهَا، وَلَيْسَ مَرَاحُ الْغَنَمِ مَأْوَى الشَّيَاطِينِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ أَنَّهَا مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ. [الحاوى الكبير للماوردي ٢/٦٢٧].

وهذا الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهو أقرب ما يُقال في الحكمة. [الشرح الممتع لابن عثيمين ٢/١٠٩].

وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

الأحرف السبعة

إعداد/ زكريا حسيني

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد ولد آدم محمد نبي الهدى والرحمة، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وبعد:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كنت جالسًا في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه. فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ، فَحَسَّنَ النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما. فسقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقًا، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فَرَقًا، فقال لي: «يا أُبَيُّ، أُرْسِل إليَّ: أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه: أن هَوِّنْ على أمتي، فرد إليَّ الثانية: اقرأه على حرفين. فرددت إليه: أن هون على أمتي، فرد إليَّ الثالثة: أن اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام».

هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: «بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه» برقم (٨٢٠) كما أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٢١٢٠٩، ٢١٢١٧، ٢١٢٩٩، ٢١٣٠٧)، وابن أبي شيبة وابن حبان رقم (٤٧٠)، والبغوي في شرح السنة كما عزاه إليهم محقق شرح صحيح مسلم للنووي.

شرح الحديث

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم عند هذا الحديث: قوله: «عن أبي بن كعب: فحسَّن النبي صلى الله عليه وسلم شأن المختلفين في القراءة، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية». معناه: وسوس لي الشيطان تكذيبًا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية، لأنه في الجاهلية كان غافلاً أو متشككًا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب. ونقل النووي عن القاضي عياض قوله: معنى قوله: سقط في نفسي، أنه اعترته حيرة ودهشة، وقوله: «ولا إذ كنت في الجاهلية» معناه: أن الشيطان نزغ في نفسه تكذيبًا لم يعتقده، وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها لا يؤاخذ بها. ومعنى ذلك أن هذه النزغة من الشيطان غير مستقرة في نفس أُبَيٍّ، ثم زالت لما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده في صدره ففاض عرقًا.

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم في صدر أبي بن كعب تثبيتًا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر الذميم، وأما قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أرسل إليَّ أن اقرأ على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتي...» إلى آخره.

ففي هذه الرواية أن الرد ثلاث مرات، ووقع في رواية أخرى وهي رواية ابن أبي شيبة في صحيح مسلم أيضًا أن الرد كان أربع مرات، وفي الرابعة قال: اقرأ على سبعة أحرف. ويجمع بينهما بأن الرواية الأولى حذف منها بعض المرات، والمقصود بالثالثة فيها الأخيرة، وهي الرابعة.

وقوله تعالى: «ولك بكل ردة رددتكها».

وفي بعض النسخ: «رددتها». وقوله: «مسألة تسألنيها» معناه مسألة مجابة قطعًا، وأما باقي الدعوات فمرجوة ليست قطعية الإجابة.

ما يتعلق بالحديث

قال المحقق ابن الجزري - رحمه الله -: وقد تكلم الناس على هذا الحديث بأنواع الكلام، وصنف الإمام الحافظ أبو شامة - رحمه الله - فيه كتابًا حافلاً، وتكلم بعده قوم وجنح إلى شيء آخر، والذي ظهر لي أن الكلام عليه ينحصر في عشرة أوجه:

الأول: في سبب وروده.

الثاني: في معنى الأحرف.

الثالث: في المقصود بها هنا.

الرابع: ما وجه كونها سبعة؟

الخامس: على أي شيء يتوجه اختلاف هذه السبعة؟

السادس: على كم معنى تشتمل هذه السبعة؟

السابع: هل القراءات التي بين أيدي الناس اليوم هي السبعة أم بعضها؟

الثامن: هل المصاحف العثمانية مشتملة عليها؟

التاسع: هل هذه السبعة متفرقة في القرآن؟

العاشر: ما حقيقة هذا الاختلاف وفائدته؟

وأنا ألخص ما ذكره ابن الجزري في كتابه النشر عن هذه الأوجه العشرة، فأقول مستعينًا بالله تعالى:

أولاً: سبب وروده على سبعة أحرف التخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها.

وهذا التخفيف تشريف للأمة ورحمة بها وخصوصية، وإجابة لقصد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم حيث أتاه جبريل فقال له: «إن الله يأمرك أن تَقْرَأَ أمتك القرآن على حرف، فقال صلى الله عليه وسلم: «أسأل الله معافاته ومعونته إن أمتي لا تطيق ذلك». وما زال يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف. [أبو داود ١٤٨٠ وصححه الألباني].

وقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم لجميع الخلق عربيهم وعجميهم، والعرب الذين أُنزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى، ولاسيما الشيخ الكبير والمرأة ومن لم يقرأ كتابًا، كما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم، فلو كُلفوا الانتقال من لغتهم إلى أخرى لكان شاقًا عليهم، وكان من التكليف بما لا يستطاع.

ثانيًا: معنى الأحرف: قال أهل اللغة: حرف كل شيء طرفه ووجهه وحافته، وحده وناحيته، والقطعة منه.

والحرف أيضًا أحد حروف التهجي، كأنه قطعة من الكلمة، قال الحافظ أبو عمرو الداني: معنى الأحرف التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا يتوجه إلى وجهين؛ أحدهما أن يعني أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات، والحرف إذن يكون بمعنى الوجه، بدليل قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ» [الحج:١١] الآية، فهذا يعبد الله على وجه واحد وهو النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله، وإذا تغيرت عليه وامتحنه بالشدة والضر ترك العبادة وكفر، فهذا عبد الله على وجه واحد.

قال (أي الإمام الداني): والوجه الثاني من معناها أن يكون سمى القراءات أحرفًا على طريق السعة كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه، وما جاوره، وما قاربه، كتسمية الجملة باسم البعض منها، فلذلك سمى النبي صلى الله عليه وسلم القراءة حرفًا وإن كان كلامًا كثيرًا من أجل أن منها حرفًا قد نظمه أو كُسرَ أو قُلبَ أو أميل، أو زيد أو نقص منه. قال ابن الجزري: وكلا الوجهين محتمل.

ثالثًا: المقصود بهذه السبعة؛ سبق بيانه في المقال السابق وبيان اختلاف

العلماء فيه، مع إجماعهم على أنه ليس المقصود أن يقرأ الحرف الواحد على سبعة أوجه؛ إذ لا يوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة.

رابعًا: وجه كونها سبعة أحرف ولم تكن أقل أو أكثر، فقال الأكثرون: إن أصول قبائل العرب تنتهي إلى سبعة، أو أن اللغات الفصحى سبع، وكلاهما دعوى تحتاج إلى دليل، وقيل: ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص بل المراد السعة والتيسير، قال ابن الجزري: وهذا جيد لولا أن الحديث يأباه.

خامسًا: على أي شيء يتوجه اختلاف هذه السبعة؟

يتوجه على أنحاء ووجوه مع السلامة من التضاد والتناقض؛ فمنها: ما يكون لبيان حكم مجمع عليه كقراءة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وغيره (وله أخ أو أخت من أم)، فإن هذه القراءة تبين أن المراد بالإخوة هنا هو الإخوة للأم، وهذا أمر مجمع عليه.

ومنها: ما يكون للجمع بين حكمين مختلفين كقراءة (يَطْهُرْنَ) و(يَطَّهَّرْنَ) بالتخفيف والتشديد، ينبغي الجمع بينهما، وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تَطْهُرَ بانقطاع حيضها، وتطَّهَّرَ بالاغتسال.

ومنها: ما يكون لأجل اختلاف حكمين شرعيين كقراءة (وأرجلكم) بالخفض والنصب، فإن الخفض يقتضي فرض المسح، والنصب يقتضي فرض الغسل، فبيَّنهما النبي صلى الله عليه وسلم فجعل المسح للابس الخف، والغسل لغيره.

ومنها: ما يكون لإيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه؛ كقراءة (فامضوا إلى ذكر الله)، فإن قراءة (فاسعوا) يقتضي ظاهرها المشي السريع وليس هذا هو المقصود.

ومنها: ما يكون مفسرًا لما لعله لا يُعرف مثل قراءة: (كالصوف المنفوش) تفسيرًا لقراءة (كالعهن المنفوش).

ومنها: ما يكون حجة لأهل الحق ودفعًا لأهل الزيغ كقراءة (ومَلِكًا كبيرًا) بفتح الميم وكسر اللام، وردت عن ابن كثير وغيره، وهي من أعظم دليل على رؤية المؤمنين ربهم في الدار الآخرة.

ومنها: ما يكون حجة لترجيح قول بعض العلماء، كقراءة (أو لمستم النساء) إذ اللمس يطلق على الجس والمس كقوله تعالى: «فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ» [الأنعام:٧].

ومنها: ما يكون حجة لقول بعض أهل العربية، كقراءة (والأرحام) بالخفض، وقراءة (ولِيُجْزَى قومًا) على ما لم يُسَمَّ فاعله مع النصب.

سادسًا: على كم معنى تشتمل هذه الأحرف السبعة؟

إن المعاني التي تشتمل عليها من حيث وقوعها وتكرارها - صحيحًا وشاذًا لا تكاد تنضبط من حيث التعداد، بل يرجع ذلك كله إلى معنيين: أحدهما: ما اختلف لفظه واتفق معناه؛ سواء كان الاختلاف اختلاف كل أو جزء نحو: (والعهن - والصوف، وزَقْيَة - وصَيْحَة، وخُطُوَات - وخُطْوات، وهُزُوًا - وهزًا - وهزْوًا).

والثاني: ما اختلف لفظه ومعناه نحو: (قال رب - وقل رب، ولنبوئنهم - ولنثوينهم، ويخدعون - ويخادعون واتخِذُوا من مقام إبراهيم مصلى- واتخَذُوا من مقام إبراهيم مصلى، إلى غير ذلك. قال ابن الجزري: وبقي ما اتحد لفظه ومعناه؛ مما يتنوع صفة النطق به؛ كالمدات، وتخفيف الهمزات، والإظهار والإدغام، والرَّوْم والإشمام، وترقيق الراءات وتغليظ اللامات. ونحو ذلك مما يعبر عنه العلماء بالأصول، فهذا عندنا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ أو المعنى.

سابعًا: هل هذه السبعة الأحرف متفرقة في القرآن؟

لا شك أنها متفرقة فيه، بل وفي كل قراءة ورواية باعتبار ما قرر من أن المراد سبعة أحرف، لا أنها منحصرة في قراءة ختمة وتلاوة رواية، فمن قرأ

ولو بعض القرآن بقراءة معينة اشتملت على الأوجه المذكورة فإنه يكون قد قرأ بالأوجه السبعة التي ذكرناها دون أن يكون قرأ بكل الأحرف السبعة. وقول أبي عمرو الداني: «إن الأحرف السبعة ليست متفرقة في القرآن كلها، ولا موجودة فيه في ختمة واحدة بل بعضها»، فإنه صحيح على ما أصّله من أن الأحرف هي اللغات المختلفات، فإن من قرأ برواية من الروايات لا يمكنه أن يحرّك الحرف ويسكّنه في حالة واحدة، أو يرفعه وينصبه، أو يقدمه ويؤخره في آن واحد، فدل على صحة ما قاله - رحمه الله -.

ثامنًا: هل المصاحف العثمانية مشتملة على الأحرف السبعة؟

قال المحقق ابن الجزري: هذه مسألة كبيرة، اختلف فيها العلماء؛ فذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة، وبنوا ذلك على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وإرسال كل مصحف منها إلى مصر من أمصار المسلمين، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك، قال هؤلاء: ولا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة ولا أن يجمعوا على ترك شيء من القرآن.

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام، متضمنة لها لم تترك شيئًا. قال ابن الجزري: وهذا القول هو الذي يظهر صوابه؛ لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له. هكذا انتصر ابن الجزري لهذا القول، بينما انتصر صاحب مناهل العرفان للقول الأول، وقد أجاد وأفاد، وذلك بعدما أضاف قولاً ثالثًا نسبه لابن جرير ومن لفّ لفَّهُ، وهو أن الموجود في المصاحف العثمانية هو حرف واحد من السبعة، وأن الأحرف الستة الأخرى قد ذهبت ولم يعد لها وجود ألبتة.

قال الزرقاني في مناهل العرفان: «إن أصحاب هذا الرأي - على جلالة قدرهم ونباهة شأنهم - قد وضعوا أنفسهم في مأزق ضيق؛ لأن ترويجهم لمذهبهم اضطرهم إلى أن يتورطوا في أمور خطرها عظيم، ونسوا أو تناسوا تلك الوجوه المتنوعة القائمة في القرآن على جبهة الدهر إلى اليوم، ثم حاولوا أن يؤيدوا ذلك فلم يستطيعوا أن يثبتوا للأحرف الستة التي يقولون بضياعها نسخًا ولا رفعًا، إلى أن قال: ألا إن هذه ثغرة لا يمكن سدها، وثلمة يصعب جبرها، وإلا فكيف يوافق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضياع ستة أحرف نزل عليها القرآن، وقد عرف الصحابة وعلى رأسهم الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه كيف عالج الرسول صلى الله عليه وسلم اختلاف القراءات بين أصحابه رضي الله عنهم. إلى أن قال: ولدينا دليل مادي أيضًا على بقاء الأحرف السبعة جميعًا، وهو بقاء التيسير والتخفيف وتهوين الأداء على الأمة الإسلامية الذي هو الحكمة في الأحرف السبعة، فنحن لا نزال نشاهد عن طريق القراءات المختلفة القائمة الآن سبيلاً سهلاً قد وسع كافة الشعوب المسلمة؛ سواء منها الأمم العربية وغير العربية، والحمد لله على دوام فضله ورحمته وبقاء تخفيفه وتيسيره، وغفر الله لأولئك الأعلام الذين جانبهم الصواب؛ فقد اجتهدوا وللمجتهد أجر وإن أخطأ. ونسأل الله التوفيق والسداد، وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

من صحيح الأحاديث القصار

درر البحار

إعداد/ علي حشيش

٢٧٨٤- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فيه». [د (٣٧٢٨)، وهذا حديث صحيح].

٢٧٨٥- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَقُوتُ أَهْلَهُ قُوتًا فِيه سَعَةٌ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَقُوتُ أَهْلَهُ قُوتًا فِيهِ شِدَّةٌ، فَنَزَلَتْ: «مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ» [المائدة: ٨٩]. [جه (٢١١٣)، وهذا حديث صحيح].

٢٧٨٦- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَسَحَ بِرَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ: ظَاهِرِهِمَا وَبَاطِنِهِمَا». [ت (٣٦) وقال: حديث حسن صحيح].

٢٧٨٧- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الْمَغَانِمِ حَتَّى تُقْسَمَ، وَعَنْ الْحَبَالَى أَنْ يُوطَأْنَ حَتَّى يَضَعْنَ مَا فِي بُطُونِهِنَّ وَعَنْ لَحْمِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنْ السِّبَاعِ. [ن (٣٠١/٧)، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٧٨٨- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا عِنْدَ الرُّكْنِ قَالَ: فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ» ثَلَاثًا «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ الشُّحُومَ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكْلَ شَيْءٍ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ» [د (٣٤٨٨)، وهذا حديث صحيح].

٢٧٨٩- عَنْ أَبِي نَجِيحٍ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ لَهُ عَدْلُ مُحَرَّرٍ».

[د(٣٩٦٥)، ن(٣١٤٣)، ت(١٦٣٨)، جه (٢٨١٢)، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح].

٢٧٩٠- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةٍ حَسَنَةٍ مِنَ الْعِبَادَةِ، ثُمَّ مَرِضَ قِيلَ لِلْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ: اكْتُبْ لَهُ مِثْلَ عَمَلِهِ إِذَا كَانَ طَلْقًا حَتَّى أُطْلِقَهُ أَوْ أَكْفِتَهُ إِلَيَّ».

[حم (٢٠٣/٢) ح(٦٨٩٥)، وهذا حديث حسن].

٢٧٩١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ».

[حم (٢١٠/٢) ح(٦٩٥٨)، وهذا حديث صحيح].

٢٧٩٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: «كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟! فَأَمْسَكْتُ عَنْ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ فَقَالَ: «اكْتُبْ فَوَالَّذِي

نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلاَّ حَقٌّ».

[د (٣٦٤٦)، وهذا حديث صحيح].

٢٧٩٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ».

[حم (١٦٨/٢) ح(٦٥٦٩)].

٢٧٩٤- عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا اسْتَعْطَرَتْ الْمَرْأَةُ، فَمَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَهَا، فَهِيَ كَذَا وَكَذَا». قَالَ قَوْلاً شَدِيدًا.

[د (٤١٧٣)، وهذا حديث حسن].

٢٧٩٥- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامُ ضَلاَلَةٍ، وَمُمَثِّلٌ مِنْ الْمُمَثِّلِينَ» [حم (٤٠٦/١)، ح(٣٨٦٨)، وهذا حديث حسن].

٢٧٩٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ». ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ». قَالَ: يَزِيدُ مُتَفَرِّقَةٌ «عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ»

[حم (٤٣٥/١) ح(٤١٤٢)، (٤٦٥/١) ح(٤٤٣٧)، وهذا حديث حسن].

٢٧٩٧- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُحِلَّ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ». [ت(١١٢٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن أبي هريرة، وعقبة بن عامر، وابن عباس، وعلي، وجابر، رضي الله عنهم].

٢٧٩٨- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّ الْمَاعُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَارِيَةَ الدَّلْوِ وَالْقِدْرِ». [د (١٦٥٧)، وهذا حديث حسن].

٢٧٩٩- عَنْ عَبْدِ الله بنِ مسعود رضي الله عنه، قال: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي، فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الحَسَنُ والحُسَيْنُ على ظَهْرِهِ، فإذا أَرَادُوا أَنْ يَمْنَعُوهُمَا أَشَارَ إِلَيْهِمْ: أَنْ دَعُوهُمَا، فَإِذَا قَضَى الصَّلاةَ وَضَعهمَا في حجره. فقال: «مَنْ أَحَبنِي فَلْيُحِبَّ هَذَيْنِ». [أخرجه أبو يعلى (٤٣٤/٨) ح(٥٠١٧)، (٢٥٠/٩) ح(٥٣٦٨)، وهذا حديث حسن. وفي الباب عن أبي هريرة: جه (١٤٣)، حم (٥١٣/٢) ح(١٠٦٠٧) وعن أبي بكرة، حم (٤٤/٥)، ح(٢٠٣٢٧)].

٢٨٠٠- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ». [ت(٨١٠)، وقال: حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح غريب، وفي الباب عن عمر وعامر بن ربيعة وأبي هريرة وعبد الله بن حُبيش وأم سلمة وجابر].



الأدب مع رسول الله ﷺ

الحلقة الثانية

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعدُ:

تكلمنا في اللقاء السابق عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكرنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام قد بشَّر به الأنبياء السابقون، وشهدوا بصدق نبوته، ووصفوه وصفًا، حيث صرحوا باسمه وبلده وجنسه وسمته، ومع أن أهل الكتاب حذفوا اسمه من نسخهم الأخيرة، إلا أن ذلك لم يُجْدِهم نفعًا، لبقاء الصفات التي اتفق عليها العلماء، وهي أظهر دلالة من الاسم على المسمى؛ إذ قد يشترك اثنان في اسم، ويمتنع اشتراك اثنين في جميع الأوصاف.

وقال الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق: «إن الأخبار الواقعة في حق محمد صلى الله عليه وسلم توجد كثيرة إلى الآن - أيضًا - مع وقوع التحريفات في هذه الكتب». اهـ.

وقد أخبر سبحانه عن تكذيب أهل الكتاب لما في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وكفرهم بها، وإخفائهم وكتمانهم لها، مع علمهم بأنها الحق.

قال الله عز وجل: «ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾» [البقرة:١٤٦].

وقال الله تعالى: «وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» [البقرة:١٠١].

وقال سبحانه: «وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ» [البقرة:٨٩].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات: يخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يعرف أحدهم ولده، والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا، ثم أخبر تعالى أنهم مع هذا التحقيق والإتقان، ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه الحق، ولكنهم يكذبون بهذا الرسول المبعوث إليهم، وإلى الناس كافة، الذي في كتبهم نعته وصفته وأخباره، وقد أُمروا فيها باتباعه، ومؤازرته ومناصرته، ولكن طائفة منهم طرحوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ما فيه، وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب، يستنصرون بمجيئه على أعدائهم المشركين إذا قاتلوهم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن يهودًا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء: يا معشر اليهود: اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال لهما سلام بن مشكم - أخو بني النضير - ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكره لكم، فأنزل الله الآية: «فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ» [البقرة:٨٩]. (راجع تفسير ابن كثير).

وقال أبو العالية: كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبًا عندنا حتى نعذب المشركين ونقاتلهم، فلما بعث

الله محمدًا صلى الله عليه وسلم، رأوا أنه من غيرهم كفروا به؛ حسدًا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان أهل الكتاب إذا حدث بينهم وبين أصحاب الأوثان شرور، ونال أصحاب الأوثان من أهل الكتاب بعض ما يكرهون، قالوا لهم: إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم.

وحين جاء اليهودَ «كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ» هو القرآن الكريم «مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ» موافقًا للتوراة التي أنزلها الله، لهدايتهم فيما يختص ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونعته، «وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟» أي: كان اليهود يستنصرون على أعدائهم من المشركين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته، فيقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي الذي نجد نعته في التوراة.

ثم بيّن القرآن موقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم بعد مجيئه، فقال: «فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ» [البقرة:٨٩] أي: فحين جاءهم ما عرفوا صدقه، وهو نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانطباق علاماته، التي يجدونها في كتابهم عليه وحده، كفروا به لأنه ليس منهم «فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ» [البقرة:٨٩] إبعادهم وطردهم من مواقع رحمته؛ لأنهم عرفوا الحق فكتموه وهم يعلمون، وهذا من ضلال اليهود وجمودهم.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود، منهم عبد الله بن صوريا، وكعب بن أسد، فقال لهم: «يا معشر يهود: اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق». فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، وجحدوا ما عرفوا، وأصروا على الكفر، فأنزل الله فيهم: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا» [النساء:٤٧]. (راجع تفسير ابن جرير).

وذكر ابن هشام في سيرته: أن صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها قالت: كنت أحبَّ ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما في ولد لهما قط، وأهش إليهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر مغلسين، قالت: فوالله ما رجعا إلا مع مغيب الشمس، قالت: فرجعا إلينا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، فهششتُ إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إليَّ واحد منهما، مع ما بهما من الغمّ، قالت: وسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم، والله، قال: أتعرفه بنعته وصفته؟ قال: نعم والله، قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته - والله - ما بقيت.

روى البخاري وغيره من حديث أنس بن مالك قال: سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرضه يخترف - يجني ثمارها - فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني بهذا جبريل آنفا». قال: جبريل: قال: «نعم». قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: «قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ» [البقرة:٩٧]. «أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهله الجنة، فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت». قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: «أرأيتم إن أسلم». قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقالوا: هو شرنا وانتقصوه، فقال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله. [البخاري ٣١٥١].

ولقد جاء القرآن الكريم مصدقًا للكتب السماوية السابقة، غير أنه انفرد عنها بالسعة

والشمول والزيادة على ما فيها، ومهيمنًا عليها.

قال الله تعالى: « وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ» [المائدة:٤٨]. أي: كما أنزلنا التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى - عليهما السلام - أنزلنا إليك يا محمد الكتاب وهو القرآن الكريم «بالحق» بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله «مصدقًا لما بين يديه من الكتاب» أي: مؤيدًا ومؤكدًا لما تقدمه من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل.

«ومهيمنًا عليه». قال ابن عباس: المهيمن: الأمين، والقرآن أمين على كل كتاب قبله. وفي رواية عنه: «مهيمنًا» أي: حاكمًا. وقال ابن جرير: القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله. فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل.

قال ابن كثير: وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله؛ حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاد من الكمالات ما ليس في غيره، فهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها، وتكفل تعالى بحفظه، فقال تعالى: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾» [الحجر:٩]، فقد دخل على الكتب السابقة من التصحيف والتحريف ما جعل الحق يلتبس فيها بالباطل، ومن أجل ذلك أُضيف إلى القرآن مع التصديق وصف آخر وهو الهيمنة، ومعناه: أن القرآن أمين على سائر ما نزل من الكتب، فيقرُّ منها ما هو حق، وينكر منها ما هو باطل، من غير أن يتعرض لها بقدح أو تجريح، بل على العكس من ذلك.

قال الله عز وجل: « إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا» [الإسراء:١٠٧- ١٠٩]. يعني بهذا القرآن الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وقوله: «إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً» أي: إن كان ما وعدنا الله على ألسنة الرسل المتقدمين من مجيء محمد صلى الله عليه وسلم لكائنًا ومحققًا لا محالة.

وما بقي من التوراة التي يقدسها أهل الكتاب اليوم بعد تحريفها يشهد بهذا التصديق، وبتلك البشارة من ذلك: ما جاء بسفر التثنية الإصحاح (١٧/١٨: ٢٢): «جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران».

قال الحافظ ابن كثير: جاء الله من طور سيناء، يعني الذي كلم الله عليه موسى، وأشرق من ساعير: يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى، واستعلن من جبال فاران، يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمدًا صلى الله عليه وسلم.

وهذا يوافق ما جاء في القرآن: «وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾» [التين:١- ٣].

فالأول: جملة التين والزيتون، وهي بيت المقدس، التي ولد فيها عيسى ابن مريم.

والثاني: طور سيناء وهو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام.

والثالث: مكة، وهو البلد الحرام الأمين، الذي من دخله كان آمنًا وهو الذي أرسل الله فيه محمدًا صلى الله عليه وسلم.

وجاء في سفر التكوين (١٧/ ٢٠) أن الله تعالى قال لإبراهيم: إن إسحاق يكون لك منه نسل، وأما إسماعيل فإني باركته وكثّرته وعظمته وجعلت ذريته بنجوم السماء...».

وقال الله لموسى: «سوف أقيم لهم نبيًا من بني إخوانهم مثلك، وأجري قولي في فيه، ويقول لهم ما أمرهم به، والرجل الذي لا يقبل قول النبي الذي يتكلم باسمي فأنا أنتقم منه». [سفر التكوين].

وعليه فوجب على الجميع الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتصديق به، فهو الإمام الأعظم الذي لو وُجد في أي عصر لكان هو الواجب الإيمان به والطاعة له، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين.

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

مقاصد المكلفين

الحلقة ٣٦

إعداد / متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

هناك تداخل بين هذا الأصل (مراعاة مقاصد المكلفين)، وقاعدة «سد الذرائع»، فمراعاة مقاصد المكلفين أعم وأوسع؛ لأن سد الذرائع يُراعى فيه - وقد لا يُراعى فيه - القصد الفاسد، بينما في هذا الأصل نحن بإزاء مراعاة مقاصد المكلفين عمومًا، وأثر ذلك في التصرفات والمعاملات.

يقول الشاطبي: «إن الأعمال بالنيات، والمقاصد معتبرة في التصرفات من العبادات والعادات، والأدلة على هذا المعنى لا تنحصر، ويكفيك منها أن المقاصد تفرّق بين ما هو عادة وما هو عبادة، وفي العبادات بين ما هو واجب، وغير واجب، وفي العادات بين الواجب والمندوب، والمباح والمكروه والمحرم، والصحيح والفاسد وغير ذلك من الأحكام، والعمل الواحد يُقصد به أمر فيكون عبادة، ويقصد به شيء آخر، فلا يكون كذلك، بل يقصد به شيء فيكون إيمانًا، ويقصد به شيء آخر فيكون كفرًا، كالسجود لله أو للصنم، وأيضًا فالعمل إذا تعلق به القصد تعلقت به الأحكام التكليفية، وإذا عُرّي عن القصد لم يتعلق به شيء منها، كفعل النائم والغافل والمجنون...». [الموافقات: ٣/ ٨، ٩].

- ومن شواهد ذلك في القرآن، قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» [النحل:١٠٦]، فهنا راعى المقصد القلبي للمكره.

- وقوله: «وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ» [سورة التوبة:٥٤].

- فالصلاة هنا فرّق فيها بين من يأتيها متكاسلاً، ومن يأتيها نشطًا محبًا، وكلاهما يصلي، وكذلك النفقة فرّق فيها بين من ينفق وهو كاره، وبين المنفق المحب، وما ذلك إلا بمراعاة المقاصد.

- وفي إمساك الزوجة: «فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» [البقرة:٢٣١]. وقال تعالى: «وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا» [البقرة:٢٣١]. والفرق بين الإمساك المحمود والمذموم يرجع إلى مقصد المكلف ونيته.

- وفي الوصية: «مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ» [النساء:١٢].

- وفي ولاية الكافرين، يقول تعالى: «لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ» [آل عمران:٢٨] إلى قوله تعالى: «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً» [آل عمران:٢٨]، ونظائر ذلك كثيرة في القرآن.

- وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم رُوعي في كثير منها «مقاصد المكلفين».

ففي الحديث: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله». [متفق عليه].

فالفارق بين قتال مقبول وقتال مردود على صاحبه، هو مقصوده وتوجهه القلبي الباعث على القتال، فصورة العمل واحدة، ولكن الفارق بينهما -باعتبار المقصد- كما بين السماء والأرض.

وفي الحديث: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». [رواه مسلم ٢٢٨٩].

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». [الترمذي ١٥٣٥ وصححه الألباني].

قال عبد الله بن المبارك: هذا للمبالغة في الزجر والتغليظ.

وقال ابن عبد البر: لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع، ومراده بنفي الجواز الكراهة؛ لأنه قال في موضع آخر: أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة منهيٌ عنها، لا يجوز لأحد الحلف بها، وقيل بالتفصيل – حسب مقصد المكلف – فإن اعتقد في المحلوف فيه من التعظيم ما يعتقده في الله حَرُم الحلف به، وكان بذلك الاعتقاد كافرًا، وعليه يتنزل الحديث المذكور، وأما إذا حلف بغير الله؛ لاعتقاده تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم فلا يكفر بذلك، ولا ينعقد يمينه. [فتح الباري ٥٣١/١١].

– ومراعاة المقاصد للمكلفين أو الباعث أو الدافع، مما ركز عليه ابن تيمية كثيرًا، فقال في الطلاق والعتاق والظهار: «وأما إذا كان مقصود الرجل أن يطلق أو أن يعتق أو أن يظاهر، فهذا يلزمه ما أوقعه، سواء كان منجَزًا أو معلقًا». [مجموع الفتاوى: ٢٢٧/٣].

وهذا قاله ابن تيمية بعد أن عرض لأقوال العلماء فيمن حلف بالطلاق أو الحرام، فجعل مقصد المكلف فارقًا بين أن يقع الحلف بالطلاق طلاقًا أو يمينًا فيها كفارة.

وقال: «ولفظ النية يجري في كلام العلماء على نوعين: فتارة يريدون بها تمييز عمل من عمل، وعبادة من عبادة، وتارة يريدون بها تمييز معبود عن معبود، ومعمول له عن معمول له». [مجموع الفتاوى ٢٥٦/١٨].

ثم ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، وقال: «هذا الحديث يدخل فيه سائر الأعمال، وهذه النية تميز بين من يريد الله بعمله والدار الآخرة، ومن يريد الدنيا مالاً وجاهًا ومدحًا وثناءً وتعظيمًا وغير ذلك». [السابق].

– وكذلك ابن القيم جعل مقاصد المكلفين أصلاً تنهض به أدلة لا تحصى كثرة، فقال: «وقاعدة الشريعة التي لا يجوز هدمها أن «المقاصد» والاعتقادات معتبرة في التصرفات والعبارات، كما هي معتبرة في التقرُّبات والعبادات، فالقصد والنية والاعتقاد يجعل الشيء حلالاً أو حرامًا (في الأفعال)، وصحيحًا أو فاسدًا (في العقود)، وطاعة أو محرمة (في العبادات)». [إعلام الموقعين: ٩٥/٣، ٩٦].

ويقول أيضًا: «وقد تظاهرت أدلة الشرع وقواعده على أن القصود في العقود معتبرة». [السابق: ١٠٩/٣].

ويقول: القصد روح العقد ومصححه ومبطله، فاعتبار القصود في العقود أولى من اعتبار الألفاظ. [السابق: ٨٢/٣].

وقاعدة «الأمور بمقاصدها» -وهي إحدى القواعد الفقهية الكلية- قد بُنيت على هذا الأصل، وقد افتتحت بها مجلة «الأحكام العدلية» قواعدها، وأتبعتها بقاعدة متفرعة منها، وهي: «العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني».

[فائدة: «مجلة الأحكام العدلية»: وُضعت في أيام الخلافة العثمانية، على أيدي لجنة من الفقهاء في ذلك العصر، وصُدِّرت بتسع وتسعين قاعدة (٩٩)، مختارة من أهم ما جمعه ابن نجيم في «الأشباه والنظائر»، والخادمي في «مجامع الحقائق»، مضافًا إليها بعض القواعد الأخرى، وقد أحسن الفقهاء في تنسيق هذه القواعد في أوجز عبارات، حتى اشتهرت وذاع صيتها، وارتفعت مكانتها حين شرحت المجلة، وأصبح لها صدى واسعًا، في كافة المجالات الفقهية والقانونية].

والمذهب المالكي – كما أسلفنا – له السبق في مراعاة مقاصد المكلفين، فالمالكية يبطلون البيوع والأنكحة التي يظهر فيها القصد الفاسد؛ مراعاة لأصل اعتبار العقود بمقاصد أهلها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والعقود، من الناس من أوجب ما فيها الألفاظ، وتعاقب الإيجاب والقبول ونحو ذلك، وأهل المدينة جعلوا المرجع في العقود إلى عُرف الناس وعادتهم، فما عدَّه الناس بيعًا فهو بيع، وما عدّوه إجارةً فهو إجارة، وما عدّوه هبةً فهو هبة، وهذا أشبه بالكتاب والسنة، وأعدل فإن الأسماء منها ما له حدٌّ في اللغة كالشمس والقمر، ومنها ما له حدٌّ في الشرع كالصلاة والحج، ومنها ما ليس له حدٌّ في اللغة ولا في الشرع، بل يرجع إلى العرف كالقبض، ومعلوم أن اسم البيع والإجارة والهبة في هذا الباب، لم يحدَّها الشارع، ولا حدَّ لها في اللغة، بل يتنوع ذلك بحسب عادات الناس وعُرفهم، فما عدُّوه بيعًا فهو بيع، وما عدُّوه هبة فهو هبة، وما عدُّوه إجارة فهو إجارة». [مجموع الفتاوى ٣٤٥/٢، ٣٤٦].

أمثلة:

المثال الأول: بيع المعاطاة:

وهو أن يعطي المشتري الثمن، ويعطي البائع السلعة، بدون إيجاب وقبول، وربما بدون كلام أصلاً، أو بكلام لا يستوفي شروط التعاقد الصحيح، أو بكلام أحدهما دون الآخر، وهنا يقوم الفعل من دفع الثمن وإعطاء السلعة مقام القول.

وهذا النوع من البيوع من أكثر البيوع انتشارًا الآن.

وللعلماء فيه ثلاثة مذاهب:

١- مذهب الشافعية والظاهرية: وهو إبطاله، لعدم توفر الإيجاب والقبول الدالين على التراضي.

٢- مذهب الحنفية والحنابلة: وهو صحته، بشرط أن يكون الثمن محددًا معلومًا، وألا يصرّح أحد العاقدين بما ينافي العقد.

٣- مذهب المالكية: وهو الصحة مطلقًا، بحيث ينعقد البيع بالفعل أو بالتعاطي، متى كان واضح الدلالة على الرضا.

وقد سُئل الإمام الشاطبي عن بيع التعاطي، فقال: «إن مذهب مالك عدم الاعتبار باللفظ في العقود». [المعيار للونشريسي ٧١/٦].

ويقول ابن العربي: «ولا تتعلق الأحكام بالألفاظ إلاّ أن ترد على موضوعاتها الأصلية في مقاصدها المطلوبة، فإن ظهرت في غير مقصدها لم تعلّق عليها مقاصدها.

ألا ترى أن البيع والشراء معلوم اللفظ والمعنى، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [سورة التوبة:١١١].

ولا يقال: هذه الآية دليل على جواز مبايعة السيد لعبده؛ لأن المقصودين مختلفان». [أحكام القرآن لابن العربي ٥٣٢/٣، ٥٣٣].

المثال الثاني: القسم:

وقد ذهب المالكية فيه إلى تحكيم المقاصد والنيات.

فقد سُئل القاضي الفقيه ابن رشد عن امرأة توفي زوجها وهو أمير البلدة، وكانت تسكن معه دار الإمارة، فاقسمت بالله ألا تسكن هذه الدار بعده، ثم تزوجها الأمير الجديد وأرغمها على السكنى معه فيها، فهل تحنث بهذا؟

فأفتى أنه لا حنث عليها؛ لأن الظاهر من أمرها أنها كرهت أن ترجع إلى الدار على غير الحال التي كانت فيها مع زوجها المتوفى، لكن لما تزوجها الأمير الجديد، وعاد أمر دار الإمارة إلى سابق عهدها قبل وفاة زوجها، فإنها لا تحنث بذلك.

وقال: هذا الذي أراه وأتقلده؛ لأن الأيمان (القسم) تُحمل على بساطها، وعلى المعاني المفهومة من قصد الحالف بها، لا على ما تقتضيه ألفاظها في اللغة، وهو أصل مذهب مالك، رحمه الله. [المعيار ٦٥/٢، ٦٦، انظر نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ٨٢/١، ٨٣].

المثال الثالث: النذر:

فإنه لا يلزم عند مالك بمجرد اللفظ الخالي عن القصد الصحيح، ومن ذلك ما رواه ابن حبيب: أن أعرابيًا نفرت ناقته وهربت، فقال لها: أنت بدنة، يعني هديًا إلى بيت الله. ثم سأل مالكًا، فقال له مالك - ليتأكد من قصده قبل إفتائه: أردت زجرها بذلك؟ فقال الأعرابي: نعم. فقال له مالك: لا شيء عليك.

وعلق ابن رشد على هذا فقال: لم يوجب إخراجها؛ إذ لم تكن له نية في ذلك، إنما قصد زجرها لا القربة إلى الله تعالى في إخراجها، وهو الأظهر؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات». [السابق: ٨٣/١].

المثال الرابع: نكاح المحلل:

إذا طُلِّقت المرأة ثلاث تطليقات من زوجها، فلا يحل له نكاحها قبل التزوج بزوج آخر؛ لقوله تعالى: «﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾» [البقرة:٢٣٠] بعد قوله: «﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾» [البقرة:٢٢٩].

ويشترط أن يدخل بها زوجها دخولاً حقيقيًا (يجامعها) من غير تحديد مدة بينهما.

فعن عائشة رضي الله عنها: أن رفاعة القرظي تزوج امرأة ثم طلقها، فتزوجت آخر، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له أنه لا يأتيها، وأنه ليس معه إلا مثل هدبة، فقال: لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك. [صحيح البخاري ٥٠١١].

قال ابن المنذر: أجمع العلماء على اشتراط الجماع لتحل للأول إلا سعيد بن المسيب.

وتعقبه ابن المنذر، فقال: وهذا القول لا نعلم أحدًا وافقه عليه إلا طائفة من الخوارج، ولعله لم يبلغه الحديث، فأخذ بظاهر القرآن.

قال الحافظ ابن حجر معلقًا على كلام ابن المنذر: «سياق كلامه يشعر بذلك». [انظر: فتح الباري ٤٦٤/٩، ٤٦٩].

فمن تزوج امرأة مطلقة ثلاثًا بشرط صريح في العقد على أن يحلها لزوجها الأول، فهو حرام عند الجمهور؛ للحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلَّل له». [أبو داود ٢٠٧٨ وصححه الألباني].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: هو المحلل، لعن الله المحلل، والمحلّل له». [ابن ماجه ١٩٣٦ وحسنه الألباني].

والنهي يدل على فساد المنهي عنه.

ولأن النكاح بشرط الإحلال في معنى النكاح المؤقت، وشرط التأقيت (تحديد مدة زمنية) في النكاح يُفسده.

- لكن إن تزوجها على نية أن يحلّها لزوجها الأول من غير شرط في العقد، فهل يصح الزواج؟

قال الشافعية: صحيح مع الكراهة.

وذهب المالكية والحنابلة إلى أن الزواج بقصد التحليل - ولو بدون شرط في العقد- باطل، وذلك بأن تواطأ العاقدان على شيء مما ذُكر قبل العقد، ثم عقد الزواج بذلك القصد، ولا تحل المرأة به لزوجها الأول، عملاً بقاعدة سد الذرائع، ولحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «لعن الله المحلل والمحلّل له» [أبو داود ٢٠٧٨ وصححه الألباني].

فحكم التحريم هنا قام على مراعاة مقاصد المكلف؛ لأن القصد في نكاح المحلل قصد فاسد، ليس من مقاصد النكاح الصحيح الذي يقوم على المودة والسكن.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مرجحًا لما ذهب إليه المالكية (مذهب أهل المدينة)، والحنابلة: «وأما المناكح: فلا ريب أن مذهب أهل المدينة في بطلان نكاح المحلل، ونكاح الشغار، أتبع للسنة، عن من لم يبطل ذلك من أهل العراق، فإنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له، وثبت عن أصحابه، كعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس - رضي الله عنهم - أنهم نهوا عن التحليل، لم يُعرف عن أحد منهم الرخصة في ذلك، وهذا موافق لأصول أهل المدينة، فإن من أصولهم: أن القصود في العقود معتبرة، كما يجعلون الشرط المتقدم كالشرط المقارن، ويجعلون الشرط العرفي كالشرط اللفظي، ولأجل هذه الأصول أبطلوا نكاح المحلل». [مجموع الفتاوى: ٢٠/٣٧٧- ٣٧٨].

ونكاح الشغار نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أن يزوّج الرجل ابنته (أو موليته) على أن يزوجه الآخر ابنته (أو موليته)، وليس بينهما صداق).

- ومن أقوال مالك - رحمه الله - المراعية لمقصد المكلف في الفعل، ما جاء في «الموطأ» في: باب القصاص في القتل: وقال مالك في الرجل يمسك الرجل للرجل فيضربه فيموت مكانه: إنه إن أمسكه وهو يرى أنه يريد قتله قُتلا به جميعًا.

- وإن أمسكه وهو يرى أنه إنما يريد الضرب مما يُضرب به الناس، لا يرى أنه عمد لقتله، فإنه يقتل القاتل، ويعاقب الممسك أشد العقوبة ويحبس لأنه أمسكه، ولا يكون عليه القتل. [الموطأ ٥/١٢٨٤، ح٣٢٥٧].

- وكما ذكرنا من قبل أن ما ذهب إليه الإمام مالك، ومنه النظر في مقاصد المكلفين في أفعالهم وأقوالهم، دون الاقتصار على ظواهرها، إنما هو مستمد ومأخوذ من منهج عمر رضي الله عنه، وعمل أهل المدينة.

- ومثال ذلك ما حدث في عهد عمر رضي الله عنه، وأخرجه مالك في «الموطأ» بسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن أن رجلين استبا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال أحدهما للآخر: والله ما أبي بزان، ولا أمي بزانية، فاستشار في ذلك عمر بن الخطاب، فقال قائل: مدح أباه وأمه، وقال آخرون: قد كان لأبيه وأمه مدح غير هذا، نرى أن تجلده الحد، فجلده عمر الحد ثمانين جلدة (حد القذف). [الموطأ ٥/١٢١١ ح٣٠٦٤].

ويُستفاد من الحديث:

١- أن الإمام مالكًا رحمه الله كان يأخذ من أقوال عمر رضي الله عنه.

٢- وأن عمر كان يشاور أصحابه «وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ» [الشورى:٣٨]، فالشورى مبدأ أصيل في الإسلام، أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» [آل عمران:١٥٩]، فكيف بمن هو دونه؟

٣- أن تحقيق المناط - الذي أشرنا إليه في حلقة سابقة - يختلف من مجتهد لآخر، فبعض من استشارهم عمر رضي الله عنه، رأى أنه لا شيء عليه، وهو مادح لأبويه، بينما رأى الآخرون - وهو ما مال إليه عمر - أنه لا يقصد المدح لأبويه، وإنما يقصد التعريض والقذف لأبوي الآخر، وبالتالي أقام عليه حد القذف؛ مراعاة للمقاصد، وليس الألفاظ فقط.

٤- الذي مدح أبويه، قال ذلك على سبيل المشاتمة للآخر، بمعنى أنه ينفي عن أبويه تهمة الزنا، وما ذلك إلا لاتهام أبوي الآخر بما نفاه عن أبويه هو، ولا شك أن هذا ليس بقذف صريح لذا احتاج عمر إلى مشاورة الصحابة.

والذي يمدح أبويه، فالأليق به يذكر الصفات المحمودة، كقوله: ودودين، برّين، تقيين، ورعين، إلى غير ذلك.

- وقد ذكر المقري بعض القواعد الفقهية التي راعى فيها المالكية المقاصد، ومنها:

القاعدة ٢٩٦: من أصول المالكية: المعاملة بنقيض المقصود الفاسد، كحرمان القاتل من الميراث، وتوريث المبتوتة في المرض المخوف.

القاعدة ٧٢٣: «كل ما خرج على قصد المبالغة أو الكناية، فالمعتبر معناه لا لفظه».

القاعدة ١٠٨٢: لسان الحال يتنزل منزل لسان المقال عند المالكية، خلافًا للأئمة. [قواعد الفقه للمقري نقلاً عن نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ١/٨٥].

ومن الأمثلة التي تبين أن مقصد المكلف (نيته) مؤثرة في الفعل (وقرينة معنوية في فهم النص) الذبح: صورته واحدة، ويكون حرامًا إذا قصده لغير الله، وحلالاً إذا قصده لله، والرجل يشتري الجارية لموكله فتحرم عليه، ويشتريها لنفسه فتحل له، وصورة العقد واحدة.

يقول ابن القيم: «والشيء الواحد تكون صورته واحدة، وهو ينقسم إلى محمود ومذموم». [الروح ١/٢٣٠].

ومن ذلك: التوكل والعجز، والرجاء والتمني، والحب لله والحب مع الله، وحب الدعوة إلى الله وحب الرياسة، وعلو أمر الله والعلو في الأرض، والعفو والذل، والتواضع والمهانة، والاحتراز وسوء الظن، والهدية والرشوة، والإخبار بالحال والشكوى، والتحدث بالنعم شكرًا والفخر بها، فإن الأول من كل ما ذُكر محمود، والثاني مذموم، والصورة واحدة، ولا فارق بينهما إلا القصد». [انظر الموافقات ٣/٨ بتصرف].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

منهج الإسلام في تربية الشباب

إعداد / صلاح نجيب الدق

الحمدُ لله، حمداً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيرًا، وداعياً إلى الله تعالى بإذنه وسراجاً منيراً، أما بعد: فإن الشباب المسلم المتمسك بدينه، على ضوء القرآن والسُّنة، بفهم سلفنا الصالح، هم الأمل في إعادة كرامة وعزة وأمجاد الأمة الإسلامية إليها، كما كانت في عهد الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من القرون الثلاثة الأولى الفاضلة، من أجل ذلك أحببت أن أُذَكِّرَ إخواني الكرام بمنهج الإسلام في تربية الشباب، فأقول وبالله التوفيق:

يحاول أعداء الإسلام توجيه فكر الشباب المسلم نحو الثقافة العَلمانية والمادية التي تسود المجتمع العالمي، بعيدًا عن تعاليم الشريعة الإسلامية المباركة، وذلك لكي ينشأ الشباب المسلم، وهو مقطوع الصلة بدينه القويم، مفتوناً بالحضارة الغربية، المادية، ولذا فإن حماية هذا الشباب المسلم، تقع على الآباء، ورجال التربية في البلاد الإسلامية. ولقد ظهر أثر هذا الغزو الثقافي الغربي السلبي على كثير من الشباب المسلم، الأمر الذي يدل بوضوح على تقصير الآباء ورجال التربية في القِيام بواجباتهم ومسئولياتهم التربوية نحو الشباب المسلم. [مسئولية الآباء لعبد الرب نواب ص٢٠٥].

عوامل تكوين شخصية الشباب:

هناك مجموعة من العوامل التي تعتبر سبباً كبيراً في تكوين شخصية الشباب، ومنها الوالدان، والأصدقاء، والمدرسة، والمجتمع.

وسوف نتحدث عن الوالدين والأصدقاء:

أولاً: الوالدان:

يعتبر الوالدان هما المؤثر الفعّال في شخصية الشباب، فكلما كان الوالدان على تقوى من الله كلما انعكس ذلك على أولادهما في مرحلة الشباب.

وكل مولود يولد على الفطرة، ومن المعلوم أن الطفل يقلد أبويه، فإذا صار شاباً كانا هما الأسوة له في نظره؛ لأن الشيء الذي انطبع في قلب الإنسان وهو صغير، يستمر معه وهو كبير. يقول الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عَوَّده أبوه

روى البخاريُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ». [البخاري ١٣٨٥].

ومن تدبر في الحياة وجد أن معظم

الشباب يسيرون على منهج آبائهم.

ثانياً: الأصدقاء:

للأصدقاء تأثيرٌ على من في سنهم من الشباب، فالصديق الصالح له أثرٌ طيبٌ، والصديق السوء له أثرٌ سيئٌ على صاحبه، وهذا لا يمكن إنكاره.

قالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَدَلُّ عَلَى شَيْءٍ وَلَا الدُّخَانِ عَلَى النَّارِ مِنْ الصَّاحِبِ عَلَى الصَّاحِبِ». [أدب الدنيا والدين للماوردي ص١٦٦].

وَقَالَ بَعْضُ الأُدَبَاءِ: يُظَنُّ بِالْمَرْءِ مَا يُظَنُّ بقَرِينِه. [أدب الدنيا والدين للماوردي ص١٦٦]

قالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْد:

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِه
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي

[أدب الدنيا والدين للماوردي ص١٦٦].

ولذا حثنا الرسول صلى الله عليه وسلم على حُسن اختيار الصديق.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً» [البخاري ٥٥٣٤، ومسلم ٢٦٢٨].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». [صحيح الترمذي للألباني حديث ١٩٣٧].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ». [صحيح الترمذي للألباني حديث١٩٥٢].

والصديق قد يكون سبباً في خسارة صاحبه في الدنيا والآخرة.

يقول الله تعالى في محكم التنزيل: « وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾» [الفرقان: ٢٧:٢٩]

عناية الإسلام بالشباب:

أولاً: القرآن الكريم:

أهتم القرآن الكريم بالشباب من حيث تربيته وحُسْن معاملته ، فقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أمثلة لشباب تربوا على مائدة الرحمن ولم يُؤَثِّر فيهم فساد عقيدة المجتمع الذي عاشوا فيه، واعتزلوا عن كل انحراف مستعينين بتأييد الله تعالى لهم، فكانوا مشاعل ضياء في مجتمعاتهم الفاسدة، وسوف نذكر بعض أمثله لهؤلاء الشباب.

يوسف بن يعقوب صلى الله عليه وسلم:

تربى يوسف صلى الله عليه وسلم في بيت عزيز مصر حتى إذا أصبح شاباً يافعاً ابتلاه الله تعالى بامرأة العزيز في مجتمع اعتاد على الرذيلة، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، فاستعان بالله عليها ورد الله كيدها في نحرها وعصم الله تعالى يوسف الصديق من الفتن.

فتية أهل الكهف:

ذكر الله تعالى فتية أهل الكهف ليكونوا نبراساً لمن يعيش في مجتمع يموجُ بالمعاصي والذنوب وفساد العقيدة. فقال سبحانه: « نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ »[الكهف ١٣ - ١٦].

ثانياً: عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالشباب:

تتجلى عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالشباب في كثير من أحاديثه الموجهة إليهم، وإرشادهم إلى ما ينفعهم وتصحيح عقيدتهم. ومن ذلك ما يلي:

روي الشيخان عن عبد الله بن مسعود أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ». [البخاري ٥٠٦٥، ومسلم ١٤٠٠].

روى الشيخان عن أبي هريرة أن

النبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ».

[البخاري ٦٦٠، ومسلم ١٠٣١].

في هذا الحديث بشَّرَ النبي صلى الله عليه وسلم الشاب الذي ينشأ في طاعة الله تعالى بأنه سيكون يوم القيامة آمناً في ظل عرش الرحمن.

روي الحاكمُ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك». [صحيح الجامع، حديث١٠٧٧].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ». [صحيح الترمذي للألباني حديث٢٠٤٣].

وسائل تربية الشباب:

هناك وسائل عديدةٌ تُؤَثِّرُ تأثيراً كبيراً في تربية الشباب وهي: التربية بالقدوة، والتربية بالموعظة الحسنة، والتربية بالقصص الواقعية الهادفة، والتربية بالملاحظة، والتربية بالعقوبة. وسوف نتحدث عنها بإيجاز.

أولاً: التربية بالقدوة:

القدوة في التربية هي أفضل الوسائل المؤثرة في تربية الشباب، فينبغي أن نضع أمام الشباب شخصاً قدوة يسيرون على نهجه في جميع أمور حياتهم. وخير قدوة للشباب هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي قال عنه سبحانه: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» [الأحزاب: ٢١]، وقد وضع الله تعالى في شخص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الصورة الكاملة للمنهج السليم القويم ليسير الشباب على منهجه.

روى أحمد عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ». [مسند أحمد ج ٤٢ص ١٨٣].

ثانياً: التربية بالموعظة الحسنة:

من وسائل التربية المؤثرة في تكوين شخصيه الشباب: تربيته بالموعظة، وتذكيره بالنصيحة؛ لأن في ذلك أثراً كبيراً في تبصير الشباب بحقائق الأشياء ودفعه إلى معالي الأمور، وتحليه بمكارم الأخلاق وتوعيته بمبادئ الإسلام. والقرآن الكريم مملوءٌ بالآيات التي تتخذ أسلوب الوعظ أساساً لمنهج الدعوة طريقاً للوصول لإصلاح الأفراد وهداية الجماعات. منها موعظة لقمان لابنه؛ حيث قال سبحانه: «يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾» [لقمان: ١٦ - ١٨].

إن الهدف من الموعظة أن يصل المربّي بمن يعظه إلى الخشية الحقيقية من الله تعالى، وأن يتذكر أمور الآخرة كأنها رأي العين، وهكذا كانت موعظة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع الصحابة.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ادْنُهْ. فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ

فداءَكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ.قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. [حديث صحيح، مسند أحمد ج ٥ص ٢٥٦حديث ٢٢٢٦٥].

ثالثاً: التربية بالقصص الواقعية الهادفة:

القصص الهادفة لها أثر تربوي في نفوس الشباب، وهي من أهم وسائل التربية؛ وذلك لأن النفس البشرية تميل إلى الأسلوب القصصي. وقد ذكر الله تعالى كثيراً من القصص في القرآن الكريم من أجل تربية الناس. قال الله تعالى: « لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)» [يوسف: ١١١].

فيمكن للمربي أن يقص على الشباب قصص الأنبياء والصالحين؛ ليقتدي بهم الشباب في حياتهم الدنيا. وقد استخدم نبينا صلى الله عليه وسلم الأسلوب القصصي. والقرآن يستخدم القصة لجميع أنواع التربية والتوجيه، التي يشملها منهجه التربوي: تربية الروح والعقل والجسم، لترسيخ المعاني الإيمانية، وغرس الفضائل في نفوس أصحابه. ومن القصص النبوي: قصة الثلاثة من بني إسرائيل: الأبرص، والأقرع، والأعمى، الذين أراد الله تعالى أن يختبرهم، وقصة الرجل الذي اقترض ألف دينار.

ولا تقتصر التربية على القصص القرآني والنبوي، ولكن هناك أيضاً سير سلفنا الصالح، من الصحابة والتابعين، ومَن بعدهم، من أهل العلم.

رابعاً: التربية بالملاحظة:

المقصود بالتربية بالملاحظة، هو ملاحظة الشاب ومراقبة تصرفاته، والسؤال عن أحواله باستمرار. ولا شك أن هذه الوسيلة من التربية تعتبر من أقوى الأسس في إعداد الشاب المتوازن، الذي يستطيع أن يقوم بمسئولياته نحو مجتمعه على الوجه الأكمل والإسلام بمبادئه الشاملة وأنظمته الخالدة، حثَّ الآباء والأمهات والمربين، جميعاً على أن يهتموا بمراقبة أبنائهم من جميع الجوانب.

قال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» [التحريم: ٦]، وكيف يقي المربي أولاده نار جهنم، إذا لم يأمرهم بالطاعات وينهاهم عن الآثام، ولم يراقبهم ويلاحظهم؟!

وحث نبينا صلى الله عليه وسلم الآباء على ملاحظة تصرفات وسلوك أبنائهم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».[البخاري ٢٥٥٨، ومسلم].

ومن مسئولية الرجل والمرأة عن رعيتهما هو ملاحظة الأبناء، ومراقبة تصرفاتهم، حتى إذا أهملوا حقاً من حقوق الله، أرشدوهم إليه، وإذا قصروا في واجب نصحوهم، وإذا رأوا منهم منكراً نهوهم عنه، وإذا فعلوا معروفاً شكروهم عليه. إن مراقبة الشباب من أفضل أسس التربية؛ وذلك لأنهم بهذه الطريقة يكونون تحت مجهر الملاحظة والمراقبة.

خامساً: التربية بالعقوبة:

حين لا تفلح التربية بالقدوة ولا الموعظة، فلا بد من علاج حاسم يضع الأمور في وضعها الصحيح، والعلاج الحاسم هو العقوبة.

نسأل الله أن يصلح شبابنا والحمد لله رب العالمين

مع الدعاة

صناعة الإعلام وصياغة الرأي العام

إعداد/ د. محمد يسري

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنه لا يستطيع مُنصف أن يتجاهل حقائق الأرقام حول صناعة الإعلام، ففي آخر إحصائية رسمية مسجلة بنهاية عام ٢٠١٠م، بلغ عدد الهيئات العربية التي تبث أو تعيد بث قنوات فضائية على شبكاتها ٤٧٠ هيئة، منها ٢٦ هيئة حكومية، و٤٤٤ هيئة خاصة، وهي تبث أو تعيد بث ٧٣٣ قناة متعددة الأهداف ومختلفة الأصناف والأطياف، مستعملة في ذلك سبعة عشر قمرًا صناعيًا [الموقع الرسمي لاتحاد الإذاعات العربية، «www.ubsa.ten»].

والجمهور المصري من عام ٢٠٠١م تبلغ نسبة متابعته للقنوات الفضائية بشكل إجمالي ٩٩,٥٪ منهم ٥٠,٢٪ بصفة منتظمة، وأن هذه الشريحة في ازدياد منذ ذلك العام إلى أن وصلت إلى ٧٥٪، هذا العام ٢٠١١م. [دور الفضائيات العربية في تشكيل معارف الجمهور، د. هويدا مصطفى، بحث من سلسلة بحوث ودراسات إذاعية تونس، (٢٠٠٨م)].

كما أن نسبة المشتركين العرب في موقع (koob ecaf) بلغ قبل الثورات العربية مباشرة، وبنهاية ديسمبر ٢٠١٠م، نحو ٢١,٣ مليون مشترك، وتضاعف هذا العدد بنهاية عام ٢٠١١م. [صحيفة الشرق الأوسط، ٨/٢/٢٠١١م].

والدعاة إلى الله في هذا الزمان يجب أن تتغير نظرتهم إلى الإعلام؛ إذ الدعوة إلى الله تعالى إعلام بشرعه، ودلالة على دينه وهديه، وقد قال أحد كبار العلماء في العصر الحديث وهو الشيخ ابن باز رحمه الله: «أنجح الطرق في هذا العصر وأنفعها استعمال وسائل الإعلام؛ لأنها ناجحة، وهي سلاح ذو حدين». [فتاوى ومقالات متنوعة، لابن باز، جمع د. محمد الشويعر، (٢/٢٥٤)].

والإعلام في الإسلام عبادة جليلة محكومة في غايتها ووسيلتها بأحكام الشريعة المعظمة ومقاصدها المكرمة، شعاره النطق بالكلمة الطيبة، ورعاية قضايا الأمة المسلمة، فهو خيِّر في صناعته، خيِّر في أهدافه ومراميه، خيِّر في غاياته ومساعيه.

والفضل ما شهدت به الأعداء، ولقد أعدت جامعة «تل أبيب» دراسة موسعة عن الفضائيات الإسلامية، ونشرت منها مقتطفات مجلة «لوبون» الفرنسية، ونقلها موقع الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية في أبريل ٢٠٠٧م، جاء فيها «إن الفضائيات الإسلامية تأتي في مقدمة الأسباب التي تؤدي إلى التدين عند الشباب المسلم؛ حيث أكدت تلك الدراسة أنه بسبب هذه الفضائيات أصبح أكثر من ٨٥٪ من الفتيات المصريات يرتدين الحجاب، و٦٠٪ من الشباب يحملون في حقائبهم القرآن الكريم!! وهذا خلاف ما كانوا عليه قبل عشر سنوات!! وهذا ما يهدد أمن إسرائيل!!».

لقد تخطى الإعلام دور المؤثر على الرأي العام ليتحول إلى صانع مهم له، وأصبح أخطر الأدوات التي تشكّل الخريطة الفكرية والثقافية على حد سواء مع الخريطة السياسية والاقتصادية والعسكرية التي تسود العالم. [الإعلام الإسلامي، محاذير وتنبيهات، بحث مقدم إلى مؤتمر السلفيون آفاق المستقبل ومجلة البيان، د. مصعب الطيب با بكر، (ص٩٧)، وبحوث المؤتمر].

ومن يملك الآلة الإعلامية المناسبة في عالم اليوم هو من يفرض على الناس كيف يفكرون وماذا يختارون، وذلك عن طريق كل وسائل الإبهار والخداع البصري والسمعي وغيرها.

ولقد عانى الدعاة إلى الله في الفترة الأخيرة من الإعلام في العالم بأسره وداخل البلاد العربية معاناة شديدة؛ حيث عمل الإعلام الممول غربيًا ومن أصحاب المصالح على تشويه صورة الدعاة الإسلاميين لدى المجتمع بأسره، واستعملت في هذا السبيل كل وسائل الخداع والتضليل، وأثر ذلك على الحياة السياسية بحيث ساهم في إسقاط مرشحين سياسيين، وتشويه وجه الأحزاب الإسلامية، ونبذ التوجه السلفي بتهم الإقصاء والعنف والظلامية وغيرها من الإفك المفترى.

وفي نفس الوقت دارت الآلة الإعلامية التغريبية لتروِّج بطريقة دعائية هجومية للتيارات السياسية الليبراليّة واليساريّة على حد سواء، حتى غدت البرامج الانتخابية التي تتبناها تلك الأحزاب من رسم محترفي وسائل الإعلام. [السيطرة الصامتة، لنورينا هيرتس، عالم المعرفة ٢٠٠٦م، (ص١٢٧)].

والدعاة إلى الله يتعين عليهم أن يكون بيانهم الإعلامي حاضرًا في القضايا التي تجدُّ وإلا تلقَّى الناس عن غيرهم، فالإسراع في بيان الرأي يفيد كثيرًا في التأثير على الناس. [وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، محمد موفق الغلاييني، دار المنارة، ١٩٨٥م، (ص١٠٠)].

كما يجب أن يتحول الدعاة من دائرة رد الفعل إلى الفعل؛ ذلك أن صاحب الكلمة الأولى إعلاميًا هو صاحب الكلمة العليا والمؤثرة غالبًا.

وكما أن الفضائيات ووسائل الإعلام الإلكترونية وسيلة فعّالة في صياغة الرأي العام، فهي أيضًا خيار معرفي وبديل دعوي يقوم على عولمة الثقافة الإسلامية، وإشاعة الفكرة والممارسة الإيمانية، وليس يبعد التأمل في دور الفضائيات الإسلامية المعاصرة في تحريك الشعب المسلم إيمانيًا وعمليًا نحو التغيير الإيجابي الذي يعم بلادًا عربية كثيرة في عالمنا اليوم.

وبالجملة فإنه بقدر تملُّك الإسلام ودعاته لناصية الإعلام، وأخذه بمجامع المبادرات الإعلامية يكون حضوره فاعلًا، ومشاركته المجتمعية مقبولة ومتقبلة، ولا بد للإعلام الإسلامي اليوم أن يخرج إلى آفاق مجتمعية واسعة في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية، كما هو في المجالات الدينية أو التعليمية.

وتبقى تحديات مهمة في هذا الصدد الإعلامي منها: القدرة على تقديم إعلام احترافي جذاب ومنضبط في نفس الوقت، والخروج إلى فضاء الأمة بدلاً من التقوقع في بوتقة الجماعة أو الحزب، وتقوية جانب التخطيط الارتيادي للأعمال والمؤسسات الإعلامية الإسلامية، وتفعيل هذه المؤسسات لاستعادة المبادرة والريادة الحضارية للأمة الإسلامية.

وفق الله الدعاة إلى حُسن الاستفادة من هذه الوسائل النافعة، وتقبل منا ومنهم، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

ضرورة التثبت من الأخبار

قال تعالى محذرًا من تناقل الإشاعات: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾» [الإسراء: ٣٦].

من هدي رسول الله ﷺ

تحذيره من التشاحن والتقاتل على الدنيا

عن أبي هريرة - رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس. فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا. إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء. فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا. أنظروا هذين حتى يصطلحا. أنظروا هذين حتى يصطلحا» [رواه مسلم ٢٥٦٥].

حكم ومواعظ

عن محمد بن المنكدر قال: «كان يقال: إذا أراد الله بقوم خيرًا أمَّر عليهم خيارهم، وجعل أرزاقهم بأيدي سمحائهم» وعن عبد الله بن المبارك قال: «نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم».

[المنتقى من مكارم الأخلاق]

فضل العلم على العبادة

قال الحسن البصري: «العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا تضروا بالعلم، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا». [جامع بيان العلم].

من الطب النبوي

عن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم، والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» [الترمذي ٢٠٦٦ وصححه الألباني]. قال ابن القيم: إن هذا في عجوة المدينة، وهي أحد أصناف التمر بها. والكمأة: هو نبات يكثر بأرض العرب ويسموها نبات الرعد والاكتحال بها نافع من ظلمة البصر والرمد الحار.

إعداد: علاء خضر

من دلائل نبوته ﷺ

فتح مصر وبعض صفات أهل مصر

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا، فإذا رأيت رجلين يختصمان في موضع لبنة فاخرج منها». [صحيح مسلم ٢٥٤٣].

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا أخذ مضجعه: «الحمد لله الذي كفاني وآواني، وأطعمني وسقاني، والذي مَنّ عليّ فأفضل، والذي أعطاني فأجزل، الحمد لله على كل حال، اللهم رب كل شيء ومليكه وإله كل شيء أعوذ بك من النار» [أبو داود ٥٠٥٨ وصححه الألباني].

تأويلات فاسدة

قال تعالى: «الرحمن على العرش استوى». تاويلهم: «استوى» بمعني استولى، والعلة من هذا التأويل الفاسد نفي علو الله سبحانه وتعالى.

والصحيح: «استوى» بمعنى علا وارتفع، فهو سبحانه وتعالى فوق عرشه بائن من خلقه. وهذه عقيدة النبي الأمين وأصحابه الأخيار ومن تبعهم من علماء السنة، وعوام المسلمين الأصحاء.

من فضائل الصحابة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل امة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». [الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجه (١٥٤) وصححه الألباني].

من وصايا السلف

قال الحسن البصري -رحمه الله تعالى-: «السُّنّة -والذي لا إله إلا هو- بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي: الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سُنّتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك إن شاء الله فكونوا». [إغاثة اللهفان].

مبايعة علي للصديق

رضي الله عنهما

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده...وبعدُ:

فمن الشبهات والأباطيل التي رددها الرافضة حول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:

١- قولهم: إن عليًّا لم يبايع الصديق رضي الله عنهما

وللرد على تلك الشبهة نقول: إن ما ورد في شأن تأخر علي من مبايعة الصديق لم يصح، وإنما جاءت الروايات الصحيحة تفيد أن عليًّا والزبير بايعا الصديق في أول الأمر، فعن أبي سعيد الخدري قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطباء الأنصار.. فذكر بيعة السقيفة، ثم قال: انطلقوا، فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم، فلم ير عليًّا، فسأل عنه، فقام أناس من الأنصار فأتوا به، فقال الصديق: ابن عم رسول الله وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعه ثم لم ير الزبير بن العوام فسأل عنه حتى جاءوا به، فقال ابن عمة رسول الله وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعاه. [رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي].

ومما يبين صحة هذا الحديث وأهميته أن الإمام مسلم سأل عنه شيخه ابن خزيمة فكتب له ابن خزيمة الحديث وصححه، فقال مسلم لشيخه: إن هذا الحديث يساوي بدنة، فقال ابن خزيمة: إنه لا يساوي بدنة فقط بل يساوي بدرة، قال: هي الكيس فيه آلاف الدنانير. كما أن الحافظ ابن كثير علق عليه بقوله: «هذا إسناد صحيح محفوظ». [البداية والنهاية ٥/٢٨١، ومجمع الزوائد ٥/١٨٣].

ومما يؤكد صحة الرواية أن عليًّا رضي الله عنه لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع عن الصلاة خلفه. [البداية والنهاية ٥/٣٢٩].

ولذا لما سأل عمرو بن حريث سعيد بن زيد: متى بُويع أبو بكر؟ قال سعيد: يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كره المسلمون أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة، قال له: هل خالف أحدٌ أبا بكر؟ قال سعيد: لا. [تاريخ الطبري ٣/٢٠٧].

وكذا فإن عليًّا رضي الله عنه قال في خطبته على منبر الكوفة في ثنائه على أبي بكر وعمر: فأعطى المسلمون البيعة طائعين، فكان أول من سبق في ذلك من ولد عبد المطلب أنا. [أسد الغابة ٤/٦٦].

بل إن عليًّا والزبير قالا: ما غضبنا إلا لأنا قد أُخِّرنا عن المشاورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه لصاحب الغار وثاني اثنين وإنا لنعلم بشرفه، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي. [البداية والنهاية ٦/٣٧].

وعلى منبر البصرة خطب علي رضي الله عنه فقال: «إن المسلمين بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا أن يستخلفوا أبا بكر، فبايعوا وعاهدوا وسلموا، وبايعت وعاهدت وسلمت، ورضوا ورضيت، وفعل الخير وجاهد حتى قبضه الله عز وجل». [السنة لعبد الله بن أحمد ٢/٥٦٣].

وذهب ابن كثير إلى أن عليًّا رضي الله عنه جدد بيعته للصديق بعد ستة أشهر من البيعة الأولى، أي بعد موت فاطمة رضي الله عنها، وجاء في هذه البيعة روايات صحيحة. [البداية والنهاية ٥/٤٩].

ومما يبين أن عليًّا رضي الله عنه كان ناصحًا للصديق، مخلصًا له: موقفه في حروب الردة، فعندما سأله الصديق ما تقول يا أبا الحسن؟ قال عليّ: أقول: إنك إن تركت شيئًا مما كان أخذه منهم رسول الله فأنت على خلاف سُنته، فقال الصديق له: لئن قلت ذاك لأقاتلنهم وإن منعوني عقالاً». [الرياض النضرة: ٦٧٠].

بل إن عليًّا كان يحرص على الصديق ويخاف عليه من أذى يلحقه، فعندما خرج الصديق إلى مقاتلة المرتدين، وبعد أن استوى على راحلته أخذ علي رضي الله عنه يقول له: «أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فُجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا، فرجع الصديق». [البداية والنهاية ٦/٣١٤].

أليس هذا يؤكد حرصه على سلامة الصديق ونجاته.

٣- إن الأخبار تواترت عن علي رضي الله عنه في تفضيله وتقديمه للصديق، من ذلك:

أ- عن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر؟ قلت: ثم مَن؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. رواه البخاري.

ب- عن علي رضي الله عنه قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها؟ أبو بكر، ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر: عمر». رواه أحمد في المسند ١/١٠٦.

٣- عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لعلي رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم». [المستدرك: ٣/٧٩].

٤- وعن عقبة بن الحارث قال: خرجت مع الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بليالي وعلي يمشي إلى جنبه، فمر بالحسن بن علي وهو يلعب مع الغلمان، فاحتمله الصديق على رقبته وهو يقول: بأبي يشبه النبي وليس شبيهًا بعلي. وعلي يضحك. [مسند أحمد ١/١٧٠].

٥- قال القرطبي رحمه الله: من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما من المعاتبة والاعتذار، وما تضمنه ذلك من الاتفاق عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة. [فتح الباري ٧/٤٩٧].

٦- قال ابن تيمية رحمه الله: وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال: خير الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر. رواه البخاري.

٧- عن يحيى بن حكيم بن سعد قال: سمعت عليًا يحلف أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق. [الطبراني في الكبير ١/٥٥].

وكذا أورد اليعقوبي أن الصديق شاور الصحابة في غزو الروم، وكان أول من شاور علي بن أبي طالب، فلما بشره علي ببشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر على الروم، قال الصديق لعلي: سررتني بما أسمعتني من رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن سرّك الله. [تاريخ اليعقوبي ٢/١٣٣].

وكان علي رضي الله عنه يمتثل أوامر الصديق، فقد جعله الصديق من حراس المدينة عندما شعر بخطر أهل الردة فهب لقتالهم. [تاريخ الطبري ٤/٦٤].

ومما يدل على التعاطف والتواد بين علي رضي الله عنه وهو سيد أهل البيت ووالد سبطي الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يتقبل الهدايا من إخوانه، كما قبل الصهباء الجارية التي سُبيت في معركة عين التمر وولدت له عمر ورقية. [الطبقات: ٣/٢٠].

وكذا منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت في حرب اليمامة وولدت له محمد ابن الحنفية وهي من سبي أهل الردة. [الطبقات: ٣/٢٠].

يقول الإمام الجويني رحمه الله: «وقد اندرج الصحابة كلهم تحت بيعة الصديق عن بكرة أبيهم، وكان علي رضي الله عنه سامعًا لأمره، وبايع الصديق على ملأ من الأشهاد، ونهض إلى غزو بني حنيفة». [الإرشاد: ٤٢٨].

وكان علي رضي الله عنه وأولاده يقبلون الخمس وأموال الفيء في عهد الصديق، وكانت تلك الأموال بيد علي هو القاسم والمتولي لأمرها، أضف إلى ذلك أن عليًا رضي الله عنه كان يؤدي الصلوات الخمس خلف الصديق راضيًا بإمامته، ومظهرًا اتفاقه ووئامه مع أبي بكر. [الشيعة وأهل البيت: ص٧٢].

ولقد رَوى عن الصديق بعض الأحاديث منها:

حدثني أبو بكر - وصدق أبو بكر - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد مسلم يذنب ذنبًا، ثم يتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له ذنبه». [مسند أحمد: ٤٧].

وعندما اختلف الصحابة في مكان دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال علي رضي الله عنه: أبو بكر مؤتمن على ما جاء به. قال أبو بكر رضي الله عنه: «عهد إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ليس من نبي يموت إلا دفن حيث يُقبَض». [مسند أحمد ١/٨].

بل إن عليًا رضي الله عنه شهد للصديق بأنه أعظم أجرًا في المصاحف؛ لأنه أول من جمع المصحف بين اللوحين.

أَبَعْدَ كل ذلك يُقال: إن عليًا لم يُبايع الصديق؛ مع تواتر بعض النصوص التي تؤكد عدم الشقاق بينهما، وطاعة عليّ للخليفة الأول وانضوائه تحت رايته، وقتاله للمرتدين معه؟!

فرضي الله عن علي بن أبي طالب، وجزاه عن الإسلام خير الجزاء. والحمد لله رب العالمين.

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عنها: فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني

١-٣٧٠- سُئلتُ عن حديث: «وَيلٌ للأغنياء منَ الفُقَراء يومَ القيامة؛ يقولونَ: رَبَّنا! ظَلَمُونا حُقُوقَنا التي فَرضتَ لَنا عليهم. فيقولُ اللهُ عز وجل: وَعِزَّتي وَجَلالي! لأُدنِيَنَّكُم وَلأُباعِدَنَّهُم. ثُمَّ تلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: « وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾» [المعارج: ٢٤ - ٢٥]».

قلتُ: هذا حديثٌ مُنكَرٌ.

أخرجَه الطَّبَرانيُّ في «الأوسط» (٤٨١٣)، وفي «الصَّغير» (٦٩٣) قال: حدَّثنا عُبيدُ بنُ عبد الله بن جحش، قال: نا جِنادةُ بنُ مروان المُرِّيُّ، قال: نا الحارث بنُ النعمان ابنُ بنتِ سعيد بن جُبير، قال: سمعتُ أنس ابن مالك، يقول:... فذكرَه مرفوعًا.

وعزاه المُنذريُّ في «التَّرغيب» (١/٥٣٩) لأبي الشَّيخ في «كتاب الثَّواب».

والسُّيوطيُّ في «الدُّرِّ المنثور» (٦/١٤٤) للعسكريِّ في «المواعظ»، وابنِ مَردَوَيه في «تفسيره».

قال الطَّبَرانيُّ في «الأوسط»: «لم يرو هذا الحديث عن أنس إلا الحارث بنُ النعمان».

وقال في «الصَّغير»: «لا يُروى عن أنس إلاَّ بهذا الإسناد، تفرَّد به: جُنادَة».

قلتُ: وإسنادُه ضعيفٌ جدًا.

وشيخُ الطَّبَرانيِّ لم أجد له ترجمةً.

وشيخُهُ جُنادةُ بنُ مروانَ هو الأزديُّ الحِمصيُّ: قال أبو حاتم: «ليس بقويٍّ في الحديث. أخشى أن يكون كذب في حديث عبدِ الله بن بُسر، أنَّه رأى في شاربِ النَّبيِّ صل الله عليه وسلم بياضًا». فترجمَ الذَّهبيُّ هذا الكلام، فقال: «اتَّهمه أبُو حاتم»، فبيَّن الحافظ في «اللسان» مُراد أبي حاتم، فقال: «أراد بقوله: كذب: أخطأ». وإنما بيَّنَ الحافظ هذا؛ لأنَّ إطلاق التُّهمة في حقِّ الرَّاوي معناه: أنَّه يكذب.

قال الحافظُ: «وقد ذكره ابنُ حبَّان في «الثقات»، وأخرج له هو والحاكمُ في «الصَّحيح» انتهى.

وفي بعض كلام الحافظ رحمه الله نظرٌ؛ لأنَّ الذي ترجَمَ له ابنُ حبَّان في «الثقات» (٨/١٦٥) هو: جُنادةُ بن مُحمَّد بن أبي يحيَى المُرِّيُّ، قال: «من أهل دمشق. كنيَتُه: أبُو عبد الله. يروي عن: عيسَى بنِ يُونُس، وابنِ أبي العشرينَ. روَى عنه: إبراهيمُ بنُ يعقوبَ الجُوزْجانيُّ، ويعقُوبُ بنُ سُفيان، وأهل الشام».

وهو مُترجَمٌ في «تاريخ البُخاريِّ» (١/ ٢/ ٢٣٤-٢٣٥).

وأخرج له ابنُ حِبَّان (٨٦٥١) حديثًا واحدًا في «صحيحه» من طريقه، عن عبد الحميد بن أبي العشرين، عن الأوزاعيِّ، عن الزُّهريِّ، عن سعيد بنِ المُسيَّب، عن أبي هُريرة مرفوعًا: «ستُنتَقَوْنَ كما يُنقَّى التَّمرُ من حُثالته».

أمَّا الحاكمُ فلم يخرِّج شيئًا في «المُستدرك» لجُنادة بن مُحمَّد، إنَّما أخرجَ لجُنادة بن مروان في «الفتَن والملاحم» (٤/ ٥٠٠)، ومن طريقه البيهقيُّ في «الدَّلائل» (٦/ ٥٠٣) من طريق أبي حاتم الرَّازيِّ، قال: ثنا جُنادةُ ابنُ مروانَ الرَّقِّيُّ، ثنا مُحمَّدُ بنُ القاسم الحمصيُّ، قال: سمعتُ عبدَ الله ابنَ بُسر، يقول: زار رَسُولُ الله صل الله عليه وسلم منزلَنا مع أبي بكر، . قال: . وكنتُ أختَلفُ بين أبي وأُمِّي، فهَيَّأنا له طعامًا، فأكل ودعا لنا بدعاء لا أحفظُه، ثمَّ مسح يَدَهُ على رأسي، فقال: «يعيشُ هذا الغُلامُ قرنًا». قال: فعاش مئة سنة.

وسكت عنه الحاكمُ والذَّهبيُّ.

ومُحمَّد بنُ القاسم الحمصيُّ: ترجمه البُخاريُّ وابنُ أبي حاتم في «كتابيهما» ولم يذكرا فيه شيئًا، فهو مجهُول الحال.

ورواه داوُد بنُ رُشيد، ثنا أبُو حَيوَةَ شُرَيحُ بنُ يزيدَ، عن إبراهيمَ بنِ مُحمَّد بن زياد، عن أبيه، عن عبد الله بن بُسر مرفُوعًا.

أخرَجهُ البُخاريُّ في «تاريخه الكبير» (١/ ١/ ٣٢٣)، وفي «التَّاريخ الصَّغير» (١/ ١٨٦)، ومن طريقه البيهقيُّ في «الدَّلائل» (٦/ ٥٠٣) معلَّقًا، ووَصَلَهُ الحارثُ بنُ أبي أُسامة، ومن طريقه أبُو نُعيم في «معرفة الصَّحابة» قال: حدَّثنا داوُدُ بنُ رُشيد بهذا.

ورواهُ مُحمَّدُ بنُ عُمر الواقديُّ، ثنا شُريحُ بنُ يزيدَ بهذا.

أخرَجَهُ البيهقيُّ أيضًا (٦/ ٥٠٣).

زاد الحارثُ: وكان في وجهه ثؤلول، فقال: «لا يمُوتُ هذا حتَّى يذهبَ الثُّؤلولُ من وَجهه»، فلم يَمُت حتَّى ذهب ثُؤلولٌ من وجهه.

وإبراهيمُ بنُ محمَّد بن زياد: ترجَمَهُ البُخاريُّ، وابنُ أبي حاتم (١/ ١/ ١٢٧) ولم يذكرا فيه شيئًا. وذكَرَهُ ابنُ حبَّان في «الثِّقات» (٦/ ١٧).

وأبُوهُ: مُحمَّد بنُ زياد الألهانيُّ: ثقةٌ.

قلتُ: فهذا هو الحديثُ الذي ذكره الحاكمُ لجُنادة بن مروانَ. وبالجُملة، فليس بعُمدة.

والحارثُ بنُ النُّعمان: قال البُخاريُّ: «مُنكَرُ الحديث».

وقال أبُو حاتم: «ليس بقَويٍّ».

والحديثُ ذكرَهُ الهيثَميُّ في «المَجمَع» (٣/ ٦٢) وقال: «فيه الحارثُ بنُ النُّعمان، وهو ضعيفٌ».

وكذلك ضعَّفه شيخُنا أبُو عبد الرَّحمن الألبانيُّ رحمه الله في «ضعيف التَّرغيب» (٣٦٤)، وكان حقُّهُ أن يُضعِّفه جدًّا؛ لما اشترطه في مُقدِّمة الكتاب (١/ ٤) أنَّه يُضعِّفُ الحديث جدًّا إذا انفرد به مَن قال فيه البُخاريُّ: «مُنكَرُ الحديث»، والحارثُ بنُ النُّعمان من هذا الضَّرب كما مرَّ بك.

واللهُ أعلمُ.

٢-٣٧١- سُئلتُ عن حديث: «إذا رَأيتُم الرَّجُلَ المُؤمنَ قد أُعطي زُهدًا في الدُّنيا، وقِلَّةَ مَنطِق، فاقتَرِبُوا منهُ؛ فإنَّهُ يُلقَّى الحِكمَةَ».

قلتُ: هذا حديثٌ مُنكَرٌ.

أخرَجهُ ابنُ سعد في «الطَّبقات» (٦/ ٦٥) مُعلَّقًا، ووصله ابنُ ماجَهْ (٤١٠٤)، والبُخاريُّ في «الكُنَى» (ص٢٧-٢٨)، وابنُ أبي حاتم في «العلل» (١٨٣٩)، وابنُ أبي عاصم في «الآحَاد والمَثاني» (٢٦٩٠)، وفي «الزُّهد» (٢٣٣)، والطَّبرانيُّ في «الكبير» (ج٢٢/رقم ٩٧٥)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١٠/ ٤٠٥)، وفي «معرفة الصَّحابة» (٦٧٦١)، والبَيهَقيُّ في «الشُّعَب» (١٠٥٢٩، ١٠٥٣٤)، وابنُ منده في «معرفة الصَّحابة» (٢/ ٨٤٢-٨٤٤)، وابنُ الأثير في «أُسد الغابة» (٦/ ٩٢) من طريق الحكم بن هشام، بهذا الإسناد.

وعزَاه الحافظ في «الإصابة» (٧/ ١٠٨-١٠٩) للبَزَّار، من طريق أبي فروَة، عن أبي خلاَّد . وكانت له صُحبة .، وقال: «إنما أدخلناهُ في المُسنَد لقوله: وكانت له صُحبة، مع أنَّه لم يَقُل: رأيتُ، ولا سمعتُ».

وأخرَجَهُ ابنُ أبي عاصم في «الآحاد والمَثاني» (٢٤٤٨)، ومن طريقه ابنُ الأثير في «أُسد الغابة» (٦/ ٨٣) قال: حدَّثنا أبو مسعُود الرَّازيُّ، نا مُحمَّد بن عيسى، نا يحيَى بنُ سعيد العُطَّارُ . وكان ثقة .، عن أبي فَروَة، قال: سمعتُ أبا مَريمَ، يقُول: سمعت أبا خالد الكنديَّ، يقُول: سمعتُ رسول الله صل الله عليه وسلم، فذكَرَه.

قال الحافظُ في «الإصابة» (٧/ ١٠٩): «ولكن وَقَعَ عنده . يعني: ابنَ أبي عاصم .: عن أبي خالد. والصَّواب: عن أبي خلاَّد، بتقديم اللاَّم الثَّقيلة».

قلتُ: ووقعَ عنده كذلك: «يحيى بن سعيد العطَّارُ» وهو خطأٌ؛ فقد سبَقَ في كلام ابن أبي حاتم أنَّ مُحمَّد بن عيسى بن الطَّبَّاع يرويه، عن يحيَى بن سعيد الأُمَوي . وهو يحيى بنُ أبانَ الأُمَويُّ .، فهذا لا بأس به، بخلاف يحيى بن سعيد العطَّار، فهو ضعيفٌ صاحبُ مناكير.

ورواه أحمدُ بنُ إبراهيم الدَّورَقيُّ، عن يحيى

بن سعيد بن أبانَ أخي عَنبَسَة، سمع أبا فَروَة الجَزَرِيَّ، عن أبي مَريَم، عن أبي خلَّاد، مرفوعًا.

ذَكَرَهُ البَيهَقِيُّ في «الشُّعَب» (١٠٥٣٠)، وابنُ عبدِ البَرِّ في «الاستيعاب» (٤/٢٠٦)، والمِزِّيُّ في «التَّهذيب» (٣٣/٢٨٩)، ونَقَلوا عن البُخاري قال: «وهذا أصَحُّ»، يعني بزيادة «أبي مَريَم» في الإسناد. ووقع في «تاريخ البُخاريِّ» (ص٢٨-الكُنى) أنَّه قال: «والأوَّل أصَحُّ»، يعني: بإسقاط «أبي مَريَم».

والـلائقُ بطريقة البُخـاريِّ أنَّـهُ يُرَجِّحُ ذِكرَ «أبي مَريَم».

ووقع عنده في الإسناد زيادةُ «عن عَنبَسَة»، وصوابُهُ ما ذَكَرتُ.

قلتُ: فهذا الإسنادُ ضعيفٌ جدًّا، وأبو فَروَة هو: يزيدُ بنُ سِنانَ الجَزَرِيُّ، كان من أهل الصِّدق، ولكن ساء حفظُهُ وفَحُش غلطُهُ حتَّى تَرَكَهُ النَّسائيُّ وغيرُهُ، وأكثرُ النُّقَّاد على تضعيفِهِ، ومَدارُ هذا الحديث عليه.

وأبو مَريَم: لا يُعرَف.

وقـال ابنُ أبـي حـاتم في «الـعلل» (١٨٣٩): «سـألتُ أبـي عن حديثٍ رَواه الحَكَمُ بنُ هشام، قال: حدَّثنا يحيى بنُ سعيد بن أبانَ القُرَشيُّ، عن أبي فَروَة، عن أبي خَلَّاد . وكانت له صُحبة .، قال: قال رسولُ الله صل الله عليه وسلم: «إذا رأيتُمُ الرَّجلَ المؤمنَ قد أُعطِي زُهدًا في الدُّنيا... الحديث».

قلتُ لأبي: يَصِحُّ لأبي خلَّاد صُحبَةٌ؟

فقال: ليس له إسنادٌ» انتهى.

فـقولُ أبـي حـاتم: «لـيس لـه إسنادٌ» يعني: يُحتَجُّ به في إثباتَ الصُّحبة؛ وذلك لأنَّ مرتبة الصُّحبة . التي هي من أشرف المراتب . لا تَثبُتُ بمثل هذا الإسناد لو لم يَكُن غيرُهُ، كما هو الحالُ في حديثِنا هـذا. ومَـن أثبَتَ لأبي خـلَّاد صُحبة فبحسبِ ما وَرَدَ في الإسنادِ ذاتـه: «وكـانت له صُحبةٌ» وهذه دعوى يُستدَلُّ لها، لا بها. ولعلَّه من سوء حفظ أبي فروَة. والله أعلم.

وله شاهدٌ من حديث أبي هُريرَة رضي الله عنه.

أخـرَجَـهُ الـطَّبرانـيُّ في «الأوسـط» (١٨٨٥)، وعنه أبو نُعيم في «الحلية» (٧/٣١٧) قال: حدَّثنا أحمد بن طاهرٍ بن حَرمَلة، قال: نا جَدِّي حَرمَلَةُ، قال: نا عبدُ الله بن وهب، قال: حدَّثني سُفيانُ بن عُيينة، قال: حدَّثني رجلٌ قصيرٌ من أهل مصرَ في مجلس الزُّهريِّ، يُقال له: عمرُو بنُ الحارث، عن أبي هُبَيرَةَ، عن ابن حُجَيرَة، عن أبي هُريرة مرفوعًا: «إذا رأيتم الرَّجلَ المؤمنَ قد أُعطي زُهدًا في الدُّنيا، وقلَّة مَنطق، فاقترِبُوا منه؛ فإنَّه يُلقَّى الحكمة».

قال أبو نُعيم: «غريبٌ بهذا الإسنادِ من هذا الوجه، عن ابنِ وَهب».

قلتُ: وعلَّته شيخُ الطَّبرانيِّ، كذَّبه الدَّارقُطنيُّ. وبه أعلَّ الهَيثَميُّ (١٠/٣٠٢) الحديث.

ووجـدتُ لـه إسـنادًا أمثلَ من هـذا عن ابن حُجَيرَة، عن أبي هُرَيرَة مرفُوعًا مثلَهُ.

أخـرَجَهُ البَيهَقِيُّ في «الشُّعَب» (٤٩٨٥) قال: أخبَرَنا أبو عبدِ الله الحافظ، نا أبو جعفر أحمدُ بن عُبيد الحافظ بهمدانَ، نا إبراهيمُ بنُ الحُسَين، نا عُثمانُ بن صالح، حدَّثني عبد الله بنُ لهيعة، حدَّثني درَّاجٌ، عن ابن حُجيرَة بهذا.

وهذا الإسنادُ رجالُهُ ثقاتٌ، لولا ابن لهيعَة.

فشيـخُ الحـاكـم: ثـقـةٌ، وثَّـقـهُ الخَـلـيـلـيُّ في «الإرشـاد» (٢/٦٥٩). وإبراهيـمُ بـنُ الحُسين هو ابن ديزيل: ثقةٌ مامونٌ، إليه المُنتهَى في الإتقان، وذَهَلَ ابنُ القيم رحمه الله فقال في «جلاء الأفهام» (ص٩٧): «ضعيفٌ مُتكلَّمٌ فيه» كذا قال! وهو غلط لا شكَّ فيه، لا أدري كيف وقع منه؟! وعُثمانُ بنُ صالح بن صفوانَ: صدوقٌ من مشايخ البُخاريِّ، روَى عنه حديثَين. وابنُ لهيعةَ ضَعفُهُ مشهورٌ. ودرَّاجُ بنُ سمعانَ: يروي هذا عن عبد الرَّحمن بن حُجَيرة، والتِّرمذيُّ يُحسِّنُ هذه التَّرجَمة، ولم يعبأ بها أبو حاتم كما في «العلل» (١١٨١).

وله شاهدٌ آخَرُ من حديث عبد الله بن جعفرٍ رضي الله عنه.

أخـرجـه أبـو يـعلَـى (٦٨٠٣) قـال: حدَّثنا إسماعيلُ بن سيف البصريُّ، ثنا عُمرُ بن هارُون البَلْخيُّ، عن سُفيانَ، عن عبد الله بن عبد الله بن جعفر، عن أبيه مرفوعًا: «إذا رأيتم من يَزهَدُ في الدُّنيا فادنُوا منه، فإنَّه يُلقَّى الحكمة».

ووقع في «المُسنَد»: «إسماعيل بن يُوسُف» فقال المحقِّق في الحاشية: «في الأصل: «سيف»، ضعَّفه أبو يعلَى نفسُهُ. وقال ابنُ عديٍّ: كان يَسرِقُ الحديثَ». وعمرُ بن هارون البَلْخيُّ: متروك.

فالإسنادُ ضعيفٌ جدًّا.

وأخرَجَهُ ابنُ أبي الدُّنيا في «الصَّمت» (٦٥٢) قال: حدَّثني الحسنُ ابنُ الصَّبَّاح، قال: قال عليُّ بن بكَّار: قال عمرُ بنُ عبد العزيز رضي الله عنه: «إذا رأيتم الرَّجل يُطيلُ الصَّمتَ، ويَهرُبُ من النَّاس، فاقترِبُوا منه فإنَّه يُلقَّن الحكمة».

وهذا سَندُهُ ضعيفٌ؛ وعليُّ بنُ بكَّار الزَّاهدُ الخاشعُ: قال ابنُ مَعين: «صدُوق، ولم يَكُن من أصحاب الحديث» يعني: المشهُورين به، وما أظنُّهُ أدرك عُمرَ بن عبد العزيز، والنَّاظرُ في طبقة شيوخه يترجَّح له ذلك، وهذا الأرجح ضعفُهُ فهو أشبَهُ عندي من المرفُوع.

والله أعلَمُ.

وقفات مع تطبيق الشريعة الإسلامية

الشبهات المثارة حول حد الرجم

الحلقة الثامنة

إعداد / المستشار / أحمد السيد علي

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُعبد، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد:

فمازال الحديث موصولاً عن الشبهات المثارة حول حد الرجم، والـرد عليها، فنقول وبالله التوفيق:-

الشبهة الثانية عشر:

قالوا: وتأبى تفصيلات القرآن إلا أن تضع عقوبة للزنا في حالة استثنائية ومستبعدة، وهي افتراض وقوع نساء النبي أمهات المؤمنين في تلك الجريمة، وهنا تكون العقوبة مائتي جلدة في تلك الجريمة، أي ضعف ما على النساء الحرائر، وفي المقابل فلهن في عمل الصالحات ضعف ما للمحسنات يقول تعالى: «يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾» [الأحزاب: ٣٠ -٣١] فالرجم لا يتضاعف، وإنما الذي يتضاعف الجلد، إلى مائتي جلدة.

الرد عليها:

إن لفظ الفاحشة من قبيل المشترك اللفظي له عدة معان، منها الزنا، ومنها النشوز وسوء الخلق، وهو المقصود في هذه الآية، قاله ابن عباس في تفسير ابن كثير، وعلى فرض أن الفاحشة هنا بمعنى الزنا، فالعذاب المقصود ليس هو عذاب الحد في الدنيا، وإنما عذاب الآخرة، قال الطبري في تفسيره: (يقول - تعالى ذكره - لأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم: «يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ» قـول: من يـزن منكن الزنا المعروف الـذي أوجـب الـلـه عليه الحد «يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ» لـى فـجـورهـا فـي الآخـرة «ضعفين» على فجور أزواج الناس غيرهم.

عن ابن عباس: «يضاعف لها العذاب ضعفين○ »أي عذاب الآخرة). اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره: «قال مقاتل: هذا التضعيف في العذاب إنما هو في الآخرة؛ لأن إيتاء الأجر مرتين أيضا في الآخرة. وهذا حسن؛ لأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم لا يأتين بفاحشة توجب حدًا. وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما خانت في الإيمان والطاعة» اهـ.

الشبهة الثانية عشرة:

أرادوا نفي النسخ في القرآن الكريم، وقالوا بعدم إتيان السنة بحكم الرجم، فسعوا إلى تفسير قوله تعالى: «وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾» [النساء: ١٥ -١٦] بالآتي:- قالوا: «كما أن النص القرآني يتكلم عن الفاحشة بين النساء فقط «السحاق» بدليل استخدام كلمة اللآتي، التي هي ضمير جمع للإناث، وبدليل وجود حكم زجر وعلاج خاص بهن، وهو الإمساك في البيوت، الذي يُقصد به تقليص نشاطهن الاجتماعي إلى الحد الأدنى، ويخضعن للمراقبة إلى أن يمتن أو يتعالجن من مرضهن ذلك فيرجعن إلى فعاليتهن الاجتماعية السليمة. وقال عن المثنى من الرجال: «واللذان» ليؤكد أن الكلام عن اثنين من الرجال ارتكبا الفاحشة التي ليست زنا؛ لأن الزنا هو الفاحشة بين الذكر والأنثى، فالآية تتحدث عن الشذوذ الجنسي بين اثنين من الذكور، وهي هنا تبين عقوبة ما يسمى باللواط وهو الإيذاء».

الرد عليها:

قال القرطبي في تفسيره: «السابعة: قوله تعالى: «فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت○ »ذه أول عقوبات الزناة؛ وكان هذا في ابتداء الإسلام؛

قاله عبادة بن الصامت والحسن ومجاهد حتى نُسخ بالأذى الذي بعده، ثم نسخ ذلك بآية النور، وبالرجم في الثيب. وقالت فرقة: بل كان الإيذاء هو الأول ثم نُسخ بالإمساك، ولكن التلاوة أخرت وقدمت؛ ذكره ابن فورك ، وهذا الإمساك والحبس في البيوت كان في صدر الإسلام قبل أن يكثر الجناة، فلما كثروا وخشي قوتهم اتُّخذ لهم سجن؛ قاله ابن العربي» اهـ.

الشبهة الثالثة عشرة:

- قالوا قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» [الطلاق: ١] وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» [النساء: ١٩] يدل على أن الرجم ليس من الإسلام؛ إذ لو كان مصير الزاني أو الزانية هو الرجم موتًا لما كان هناك تفصيل في تشريعات حياته، طالما هو محكوم عليه بالموت، ونفس الحالة في إضافة عقوبات للمطلقة الزانية بإخراجها من البيت، ومنعها عن الزواج حتى تدفع بعض المهر، وإذا كانت هناك عقوبة الرجم على تلك الزانية المحصنة لما كان هناك داع لتشريع يمنعها عن الزواج ثانيًا، ويسمح بطردها من البيت في فترة العدة».

الرد عليه:

أولاً: بالنسبة للآية ١٩ من سورة النساء فمردود عليها بالآتي:

١- أن الفاحشة هنا لها أكثر من معنى، قال القرطبي في تفسيره: «إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ» اختلف الناس في معنى الفاحشة؛ فقال الحسن: هو الزنا، وإذا زنت البكر فإنها تُجلد مائة وتنفى سنة، وترد إلى زوجها ما أخذت منه. وقال أبو قلابة: إذا زنت امرأة الرجل فلا بأس أن يضارها ويشق عليها حتى تفتدي منه. وقال السدي: إذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن. وقال ابن سيرين وأبو قلابة: لا يحل له أن يأخذ منها فدية إلا أن يجد على بطنها رجلاً، قال الله تعالى: «إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» قال ابن مسعود وابن عباس والضحاك وقتادة: الفاحشة المبينة في هذه الآية البغض والنشوز، قالوا: فإذا نشزت حل له أن يأخذ مالها؛ وهذا هو مذهب مالك. قال ابن عطية: إلا أني لا أحفظ له نصًا في الفاحشة في الآية. وقال قوم: الفاحشة البذاء باللسان وسوء العشرة قولاً وفعلاً؛ وهذا في معنى النشوز» اهـ.

فلماذا حمل هؤلاء الفاحشة على الزنا دون غيره من المعاني الأخرى؟!! فقد فعلوا ذلك ليؤيدوا مذهبهم الخبيث في إنكار حد الرجم.

٢- إن الآيـة نزلت فيما كانوا يفعلونه في الجاهلية، قبل الإسلام، وقبل تشريع حد الرجم، قال ابن كثير في تفسيره: «قال البخاري: حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا أسباط بن محمد، حدثنا الشيباني عن عكرمة، عن ابن عباس -قال الشيباني: وذكره أبو الحسن السوائي، ولا أظنه ذكره إلا عن ابن عباس-: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا» ال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجو ها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك... وقال أبو داود: حدثنا أحمد بن محمد بن ثابت المروزي، حدثني علي بن حسين، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ««لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» ذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته، فيعضلها حتى تموت أو ترد إليه صداقها، فأحكم الله تعالى عن ذلك، أي نهى عن ذلك».

٣- دائما ما يفترض هؤلاء أن مجرد الزنا موجب للحد، ولا يعلموا أن الحد لا يطبق إلا إذا رُفع الزناة لولي الأمر، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب» [رواه أبو داود وحسنه الألباني] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا أيها الناس! قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، فمن أصاب من هذه القاذورات شيئًا فليستتر بستر الله، فإنه مَن يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله، وقرأ رسول الله: «والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون» [أورده المنذري في الترغيب والترهيب وصححه الألباني].

ومن ثم فللزوج أن يعضل زوجته التي زنت، ولم يرفع أمرها للحاكم لرجمها، حتى تعيد له مهره، والعضل هنا فسره ابن كثير بقوله: «وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ» أي: لا تضاروهن في العشرة لتترك لك ما أصدقتها أو بعضه أو حقًا من حقوقها عليك، أو شيئًا من ذلك على وجه القهر لها والاضطهاد. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: «ولا تعضلوهن» يقول: ولا تقهروهن «لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن» يعني: الرجل تكون له امرأة وهو كارهٌ لصحبتها، ولها عليه مهر فيضرها

لتفتدي».

ثانيًا: بالنسبة للآية ١ من سورة الطلاق فمردود عليها بالآتي:

قال القرطبي في تفسيره: «الثالثة عشرة: قوله تعالى: «إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ» قال ابن عباس وابن عمر والحسن والشعبي ومجاهد: هو الزنا، فتخرج ويقام عليها الحد. وعن ابن عباس أيضا «أنه البذاء على أحمائها، فيحل لهم إخراجها». وروي عن سعيد بن المسيب أنه قال في فاطمة: تلك امرأة استطالت على أحمائها بلسانها، فأمرها عليه السلام أن تنتقل. وفي كتاب أبي داود قال سعيد: تلك امرأة فتنت الناس، إنها كانت لَسِنَة فوضعت على يدي ابن أم مكتوم الأعمى. قال عكرمة: في مصحف أبي: «إلا أن يفحشن عليكم»، ويقوي هذا أن محمد بن إبراهيم بن الحارث روى أن عائشة قالت لفاطمة بنت قيس: اتقي الله، فإنك تعلمين لم أخرجت؟ وعن ابن عباس أيضًا: الفاحشة كل معصية كالزنا والسرقة والبذاء على الأهل. وهو اختيار الطبري. وعن ابن عمر أيضًا والسدي: الفاحشة خروجها من بيتها في العدة.

وتقدير الآية: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن بغير حق، أي لو خرجت كانت عاصية. وقال قتادة: الفاحشة النشوز، وذلك أن يطلقها على النشوز فتتحول عن بيته.

قال ابن العربي: «أما من قال: إنه الخروج للزنا، فلا وجه له؛ لأن ذلك الخروج هو خروج القتل والإعدام، وليس ذلك بمستثنى في حلال ولا حرام. وأما من قال: إنه البذاء، فهو مفسر في حديث فاطمة بنت قيس. وأما من قال: إنه كل معصية، فوَهْمٌ؛ لأن الغيبة ونحوها من المعاصي لا تبيح الإخراج ولا الخروج. وأما من قال: إنه الخروج بغير حق، فهو صحيح. وتقدير الكلام: لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن شرعًا إلا أن يخرجن تعديًا».

ومن ثم يتضح أن الفاحشة في الآية هي البذاءة على الأحماء، على الصحيح من أقوال أهل العلم، وعلى فرض أنها الزنا، فليس إخراجها من بيتها عقوبة إضافية، وإنما هو لتطبيق الحد عليها، ومن ثم يتضح تهاوي هذه الشبهة بشقيها كأخواتها من الشبهات السابقة.

الشبهة الخامسة عشرة:

قال تعالى: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠)» [الفرقان: ٦٨- ٧٠] قالوا: فإذا كان مصير الزاني هو الرجم السريع، فلن تكون له فرصة للتوبة والإيمان والعمل الصالح المتراكم الذي تتبدل به سيئات الزاني إلى حسنات.

الرد عليها:

أولاً: إن الآية نزلت في بعض المشركين، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس: «أن ناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمدًا صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا بأن لما عملنا كفارة. فنزلت: «والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما...» [مسلم: ٣٧٧]

ثانيًا: يحمل العمل الصالح بعد الزنا على الزاني غير المحصن، فإنه سيعيش بعد تطبيق حد الجلد عليه، ويستطيع أن يُكثِر من الأعمال الصالحة.

ثالثًا: ويحمل أيضًا على الزاني المحصن الذي لم يرفع أمره إلى ولي الأمر، كما سبق بيانه، فإنه يستطيع أن يكثر من الأعمال الصالحة.

رابعًا: المعلوم أن تطبيق الحد كفارة للمسلم، فقد روى الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعُوقِب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه». فبايعناه على ذلك. [متفق عليه].

ومن ثم فمن ذهب إلى ولي الأمر وأقرّ بالزنا وطلب إقامة الحد عليه، كماعز والغامدية، فقد عمل عملاً صالحًا بعد التوبة.

خامسًا: إقامة الرجم على الزاني، سواء المقرّ بزناه أو الذي شهد على زناه أربعة من الشهود، يتطلب وقتًا زمنيًا يتحقق فيه ولي الأمر من وقوع الجريمة، فقد رد النبي صلى الله عليه وسلم ماعزًا والغامدية، ولم يطبق عليهما الحد بمجرد الاعتراف، وهذا الوقت يستطيع فيه الزاني أن يعمل أعمالاً صالحة كثيرة بعد التوبة، ومن ثم يتضح أيضًا أن هذه الشبهة أوهى من بيت العنكبوت، وما قصد بها هؤلاء إلا التدليس والتلبيس على المسلمين لصرفهم عن تطبيق شريعة ربهم.

والحمد لله رب العالمين.

أمراض خبيثة في أمة الإسلام



إعداد/
جمال عبدالرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين، وأشهد ألا إله إلا الله تعالى الذي قال: « أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾» [العنكبوت: ٢، ٣].

والقائل: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ» [محمد: ٣١]. أي: ونبلوا أعمالكم.

وأشهد أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال لأصحابه يومًا: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاءٌ، وأمور تنكرونها، وتجيء فتن فيُرقق بعضها بعضا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مُهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتن فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يُحب أن يُؤتى إليه». [صحيح مسلم: ٣/١٤٧٢].

من هذه الفتن؛ الأمراض والأدواء التي دبت في جسد الأمة.

الداء الأول: الحسد والبغضاء:

عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يُثبت ذلك لكم؟ أفشوا السلام بينكم». [سنن الترمذي، ت: شاكر ٤/٦٦٤، وحسنه الألباني].

النموذج القدوة في البعد عن الحسد

هذا نموذج من النماذج العالية الخيرة التي استحقت رضوان الله والجنة بسبب بُعدها ومقاومتها لهذا الداء الخطير وهو الحسد، هذا المثال هو أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لم يكن له كثير عمل، ولم يشتهر بعبادة خاصة يُعرف بها بين أصحابه، ولكنه كان يصفي قلبه كل ليلة من الحسد وكراهية النعمة التي ينعم الله تعالى بها على من شاء من عباده، فانظر أخي المسلم أختي

المسلمة إلى هذا النموذج الجميل:

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما لرجل بشره النبي بالجنة، فطلعت ثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، قال: فانصرفت عنه، فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي على أحد من المسلمين غشا، ولا أحسده على ما أعطاه الله إياه إليه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك هي التي لا نطيق. [جامع معمر بن راشد ٢٨٨/١١ وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب ١٧٢٨].

الداء الثاني: التنافس على الدنيا

عن عمرو بن عوف رضي الله عنه وكان شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح فقدم بمال من البحرين، وسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوفوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم، ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء». قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم». [متفق عليه].

النموذج القدوة في الكرم والزهد

وهذا رجل طلق الدنيا وقسم ماله شطرين بينه وبين أخيه المهاجر عبد الرحمن بن عوف، بل عرض عليه الزواج بإحدى زوجاته بعد أن يطلقها له وتنتهي عدتها، فكافأه الله بالشهادة وبشم ريح الجنة قبل أن يخرج من الدنيا.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لطلب سعد بن الربيع، وقال لي: «إن رأيته فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة؛ ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم، فقلت له: يا سعد، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «خبرني كيف تجدك؟» قال: على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: يا رسول الله، أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيكم شفر يطرف، قال: وفاضت نفسه رحمه الله. [الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي].

الداء الثالث: كثرة الجدل

الجدل علامة ضلال، وإشارة إلى قلة الورع، وثقل العمل على النفوس وكراهية الملل من العبادة، نعوذ بالله من ذلك.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ضل قومٌ بعد هدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل». ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: «مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» [الزخرف:٥٨]. [سنن الترمذي ٣٢٣٥، وحسنه الألباني].

وعن مالك بن دينار قال: كنت جالسًا مع الحسن، فسمع مراء قوم في المسجد، فقال: يا مالك، إن هؤلاء قوم ملوا العبادة، وبغضوا الورع، ووجدوا الكلام أخف عليهم من العمل فتكلموا. [حديث أبي الفضل الزهري ص: ٥٢٠].

النموذج القدوة في ترك الجدل

من الصحابة رضوان الله عليهم إذا أشكل عليهم شيء لا يجادلون، بل يصبروا حتى يأتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيبين لهم الحكم الصحيح.

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: «وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» [النساء:٢٩]. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئًا. [سنن أبي داود ٩٢/١].

الداء الرابع: الهرج

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج». قالوا: وما الهرج

يا رسول الله؟ قال: «القتلُ، القتلُ». [صحيح مسلم ٤/٢٢١٥].

النموذج القدوة في حقن دماء المسلمين:

وهذا نموذج آخر في صيانة دم من قال: «لا إله إلا الله»، وبيان تعظيم هذه الكلمة ومكانتها في حفظ دم المسلم وعرضه وماله.

دعا النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد رضي الله عنه فسأله عن رجل من المشركين قتله أسامة بعدما قال: لا إله إلا الله، فقال: «لمَ قتلهُ؟» قال: يا رسول الله، أوجعَ في المسلمين، وقتل فلانًا وفلانًا، وسمى له نفرًا، وإني حملت عليه، فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقتلته؟» قال: نعم، قال: «فكيف تصنع بـ (لا إله إلا الله) إذا جاءت يوم القيامة؟» قال: يا رسول الله، استغفر لي، قال: «وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة». [صحيح مسلم: ١/٩٧].

وعثمان رضي الله عنه رفض دفاع المسلمين عنه؛ حقنًا لدمائهم وضحى بنفسه وروحه.

الداء الخامس: التعصب

عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قتل تحت راية عمية، يدعو عصبية، أو ينصر عصبية، فقتلة جاهلية». [صحيح مسلم: ٣/١٤٧٨].

العمية: الأمر الملبس لا يدري ما وجهه، قال أحمد بن حنبل: هو الأمر الأعمى، كالعصبية التي لا يستبان ما وجهها، والمقصود أنه يقاتل لهواه لا على مقتضى الشرع. [كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢/٥١].

عن أنس رضي الله عنه قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة تسمى العضباء، لا تسبق، قال حميد: لا تكاد تسبق، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين، حتى عرفه، فقال: «حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه». [البخاري ٤/٣٨].

ولما تعصب بعض المهاجرين إلى بعضهم البعض، وكذلك الأنصار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوها فإنها منتنة». [صحيح البخاري ٦/١٥٤].

النموذج القدوة في اختيار أشرف القتلات

قال الله تعالى: «﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾» [الأنعام:١٦٢، ١٦٣]، فالإنسان ينبغي له أن يبحث عن الموت على الإسلام وفي سبيل الله، وذلك مثل ما فعل هذا الصحابي الجليل:

عن شداد بن الهاد، أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبيًا، فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسمٌ لك النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك». قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا، وأشار إلى حلقه، بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: «إن تصدق الله يصدقك». فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يُحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أهُوَ هُوَ؟» قالوا: نعم، قال: «صدق الله فصدقه». ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك فقتل شهيدًا أنا شهيد على ذلك». [سنن النسائي ١٩٥٣ وصححه الألباني].

الداء السادس: إذاعة الشائعات والكذب

قال الله عز وجل: «﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾» [النساء:٨٣].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي

إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا» [أبو داود ٤٩٩١ وصححه الألباني، والحديث مخرج في الصحيحين بغير هذا اللفظ].

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟» قال: فإن رأى أحدٌ قصها، فيقول: «ما شاء الله». فسألنا يومًا فقال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» قلنا: لا، قال: «لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالسٌ، ورجل قائم، بيده كلوب من حديد، وإنه يدخل ذلك الكلوب في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟ أما الذي رأيته يشقق شدقه، فكذابٌ يحدثُ بالكذبة، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة». [صحيح البخاري: ٢/١٠١].

النموذج القدوة في صدق الحديث

وهذا نموذج آخر في ترك الكذب والإصرار على الصدق جاءت نتيجته من أعظم النتائج وهي توبة الله على كعب بن مالك وصاحبيه، رضي الله عنهما، حين صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكذبوا عليه في سبب تخلفهم عن غزوة تبوك، فأنزل الله البشرى العظيمة عليهم كما يُرى في حديث كعب:

- قال كعب بن مالك رضي الله عنه: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك». قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمسك عليك بعض مالك فهو خيرٌ لك». قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، فقلتُ: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت، فوالله ما أعلم أحدًا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا كذبًا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة:١١٧] إلى قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، فوالله ما أنعم الله عليَّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا - حين أنزل الوحي - شرَّ ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ [سورة التوبة:٩٥] إلى قوله: ﴿فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة التوبة:٩٦]. [صحيح البخاري: ٦/٦].

الداء السابع: الشح والبخل

عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم». [صحيح مسلم: ٤/١٩٩٦].

وإذا كان رسولنا صلى الله عليه وسلم هو الذي أخبر بخطورة الشح، وأنه سبب هلاك ودمار، وقتل وخراب، فليس بعد كلامه بيان، فهنيئًا لأهل الكرم والإحسان، وتبًا لأهل الشح والحرمان.

خاتمة (علاج هذه الأمراض)

إذا كانت هذه أمراض تدب في أمة الإسلام، فعلاجها كما ظهر في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يزحزح عن النار ويُدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه». [مسلم]. يعني: يؤدي حق الله بإيمانه به، وحق الناس بالعدل فيما بينه وبينهم، وأن يحب لهم كما يحب لنفسه.

نسأل الله تعالى أن يهدينا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا هو، ويصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا هو.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

التأمين التجاري والتأمين التعاوني

الغرر وأثره في عقود المعاوضات

إعداد: د/ علي أحمد السالوس

أستاذ فخري في المعاملات المالية والاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد بدأ الإمام مسلم كتاب البيوع بأحاديث النهي عن بيع الملامسة، والمنابذة، وهي من بيوع الغرر، والحديث الرابع جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة، وعن بيع الغرر.

قال النووي في شرحه: وأما النهي عن بيع الغرر فهو أصل عظيم من أصول كتاب البيوع، ولهذا قدمه مسلم، ويدخل في مسائل كثيرة غير منحصرة، كبيع الآبق، والمعدوم والمجهول، وما لا يقدر على تسليمه، وما لم يتم ملك البائع عليه، وبيع السمك في الماء الكثير، واللبن في الضرع، وبيع الحمل في البطن، وبيع بعض الصبرة مبهمًا، وبيع ثوب من أثواب، وشاة من شياه، ونظائر ذلك، وكل هذا بيعه باطل، لأنه غرر من غير حاجة، وقد يحتمل بعض الغرر بيعًا إذا دعت إليه حاجة كالجهل بأساس الدار، وكما إذا باع الشاة الحامل، والتي في ضرعها لبن، فإنه يصح البيع؛ لأن الأساس تابع للظاهر من الدار، ولأن الحاجة تدعو إليه، فإنه لا يمكن رؤيته، وكذا القول في حمل الشاة ولبنها، وكذلك أجمع المسلمون على جواز أشياء فيها غرر حقير، منها أنهم أجمعوا على صحة بيع الجبة المحشوة، وإن لم ير حشوها، ولو بيع حشوها بانفراده لم يجز.

ثم قال: قال العلماء: مدار البطلان بسبب الغرر، والصحة مع وجوده على ما ذكرناه، وهو أنه إن دعت حاجة إلى ارتكاب الغرر، ولا يمكن الاحتراز عنه إلا بمشقة، وكان الغرر حقيرًا، جاز البيع، وإلا فلا.

وفي كتاب البيوع من صحيح البخاري نجد باب بيع الغرر وحبل الحبلة، وتحت الباب حديث النهي عن بيع حبل الحبلة دون ذكر الغرر.

قال الحافظ في الفتح: عطف بيع حبل الحبلة على بيع الغرر من عطف الخاص على العام، ولم يذكر في الباب بيع الغرر صريحًا وكأنه أشار إلى ما أخرجه أحمد من طريق ابن إسحاق، حدثني نافع، وابن حبان من طريق سليمان التيمي عن نافع عن ابن عمر قال: «نهى النبي صلى الله عليه وسلم - عن بيع الغرر». وقد أخرج مسلم النهي عن بيع الغرر من حديث أبي هريرة.. إلخ.

وفي الموطأ في كتاب البيوع ذكر الإمام مالك بيع الغرر، وروى عن سعيد بن المسيب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الغرر، وتحدث عن هذا البيع.

وقال ابن رشد الحفيد: الغرر يوجد في المبيعات من جهة الجهل على أوجه الجهل بوصف الثمن، والمثمون المبيع، أو بقدره، أو بأجله إن كان هنالك أجل، وإما من جهة الجهل بوجوده، أو تعذر القدرة عليه، وهذا راجع إلى تعذر التسليم، وإما من جهة الجهل بسلامته: أعني بقاءه، وههنا بيوع تجمع أكثر هذه أو بعضها.

ومن البيوع التي توجد فيها هذه الضروب من الغرر بيوع منطوق بها وبيوع مسكوت عنها، والمنطوق به أكثره متفق عليه، وإنما يختلف في شرح أسمائها، والمسكوت عنه مختلف فيه، ونحن نذكر أولا المنطوق به في الشرع، وما يتعلق به من الفقه، ثم نذكر بعد ذلك من المسكوت عنه ما شهر الخلاف فيه بين فقهاء الأمصار ليكون كالقانون في نفس الفقه: أعني في رد الفروع إلى الأصول.

فأما المنطوق به في الشرع فمنه: «نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع حبل الحبلة». ومنها: «نهيه عن بيع ما لم يخلق، وعن بيع الثمار حتى تزهي، وعن بيع الملامسة والمنابذة، وعن بيع الحصاة»، ومنها: «نهيه عن المعاومة، وعن بيعتين في بيعة، وعن بيع وشرط، وعن بيع وسلف، وعن بيع السنبل حتى يبيض، والعنب حتى يسود»، و«نهيه عن المضامين والملاقيح».



مما سبق يتضح أن التأمين التجاري من أشد العقود تأثرًا بالغرر الفاحش الذي لا يصح معه عقد معاوضة.

نشأة التأمين

في الباب الأول تحدثنا عن مبادئ الاقتصاد الإسلامي، ورأينا في هذه المبادئ ضمان تمام الكفاية، وتتحقق هذه الكفاية بالعمل، ثم بالنفقات الواجبة، ثم بالزكاة، فإن لم تف بذلك كان على الدولة أن تنفق على من لا يجد كفايته من الموارد الأخرى غير الزكاة، وفي الحالات التي لا تجد الدولة ما تنفقه لتمام الكفاية كما حدث في عام الرمادة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يؤخذ من الأغنياء بقدر حاجة الفقراء.

وقد بينت هذا بالتفصيل في موضعه، عند الحديث عن مبادئ الاقتصاد الإسلامي.

في مثل ذاك المجتمع الذي ينعم بتطبيق الاقتصاد الإسلامي لا تظهر شركات للتأمين، فكل فرد يعتبر مؤمنًا عليه دون اشتراك في نظام تأمين، أو دفع أقساط تأمين.

ولذلك لم تظهر شركات للتأمين في المجتمعات الإسلامية السابقة، فلم تدعُ الحاجة إلى بيان الحكم الشرعي في التأمين كما سنرى عند التعرض لموضع حكم التأمين في الفقه الإسلامي.

وهذا لا يمنع وجود التكافل بين المسلمين، والتعاون على البر والتقوى، كما جاء في الحديث الشريف المشتهر: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». [أخرجه مسلم].

وفي حديث آخر: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم في المدينة، حملوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم بالسوية، فهم مني وأنا منهم». [أخرجه البخاري].

ومثل هذا أيضًا ما كان يحدث في بعض القوافل، عندما كان يموت جمل أحدهم، تتحمل القافلة كلها ثمنه، حتى يستطيع صاحبه أن يشتري غيره، وأين هذا كله مما قدمه الأنصار للمهاجرين؟ رضي الله عنهم جميعًا.

وفرق شاسع بين هذا التكافل وبين اتخاذ الناس التأمين تجارة.

والتأمين التجاري نشأ في المجتمعات غير الإسلامية.

ومن المعلوم أن التأمين البحري هو أول نوع ظهر من التأمين التجاري، وكان ذلك في القرن الرابع عشر الميلادي، ولكن كان له أصل، ووجد قبل الميلاد، وهو ما عرف بعقد القرض على السفينة.



وخلاصته أن شخصًا يعتبر كالمؤمن يدفع مبلغًا ربويًا للسفينة قبل بدء رحلتها، فإن هلكت ضاع القرض، وإن نجت يدفع المبلغ المقترض مع فائدته الربوية المتفق عليها، وترهن السفينة لضمان رد القرض مع فائدته.

وهو يشبه التأمين في المقامرة والغرر؛ فالقرض لا يسترد إذا هلكت السفينة، ويستفيد المقرض من الفائدة الربوية مع استرداد القرض إذا نجت السفينة، ولا أحد يعلم الغيب إلا الله عز وجل.

وواضح أنه يختلف عن التأمين الحاضر في بعض الأمور.

وصدر قرار من البابا بتحريم عقد القرض على السفينة سنة ١٢٣٠م، وهكذا كان أصل التأمين التجاري عقدًا ربويًا، يقوم على المقامرة والغرر، ولا يزال كما بدأ.

ثم ظهر التأمين البري في إنجلترا في القرن السابع عشر، وأول صورة ظهرت منه كانت صورة التأمين من الحريق، وذلك عقب حريق هائل نشب في لندن سنة ١٦٦٦م، والتهم أكثر من ثلاثة عشر ألف منزل ونحو مائة كنيسة، وانتشر التأمين من الحريق في خلال القرن الثامن عشر في كثير من البلاد غير إنجلترا، خاصة في ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، ثم انتشر التأمين وتنوع، وعلى الأخص في القرن العشرين.

أنواع التأمين:

التأمين من حيث الهدف والشكل نوعان:

النوع الأول: تأمين يهدف إلى الربح أساسًا، وهو التأمين التجاري، أو التأمين ذو القسط الثابت، وهذا النوع هو الذي تحدثت عنه عند تعريف عقد التأمين، وبيان أركانه في الحلقة السابقة.

النوع الثاني: التأمين التعاوني، أو التبادلي، أو الإسلامي.

وهو لا يهدف إلى الربح، بل إلى التعاون في تحمل الأضرار، كأن يشترك مجموعة من الأشخاص، فيدفع كل منهم مبلغًا معينًا، ومن هذه المبالغ يتم مساعدة من يصيبه ضرر، فكل واحد منهم يعتبر مؤمِّنًا ومؤمَّنًا عليه. وسيأتي بيان هذا النوع عند الحديث عن موقف اتحاد البنوك الإسلامية من التأمين.

ولكن أحب أن أوضح هنا الوضع القائم في شركات التأمين الإسلامية، والفرق بينها وبين شركات

التأمين الأخرى.

من المعلوم في شركات التأمين التجارية أن قسط التأمين عندما تتسلمه الشركة يصبح ملكًا لها، عوضًا عما تلتزم به الشركة من التعويض عند تحقق الخطر أو الضرر الذي بسببه تم التأمين أكبر من قسط التأمين الذي تملكته فإنها تلتزم بدفعه، ومن هنا رأينا القمار والغرر الفاحش.

أما شركات التأمين الإسلامية فإن قسط التأمين لا يدخل في ملكها، ومبلغ التأمين لا تدفعه من أموالها الخاصة، والعلاقة بينها وبين المستأمنين ليست علاقة معاوضة كالبائع والمشتري.

فما هذه العلاقة إذن.

العلاقة هنا كالعلاقة بين المصارف الإسلامية والمودعين للاستثمار، مع زيادة عنصر التكافل.

فالشركات الإسلامية للتأمين تأخذ الأقساط باعتبارها عامل مضاربة أو قراض، فهذه الأموال أمانة تحت يدها، تستثمرها بالطرق المشروعة تحت رقابة شرعية، وتأخذ نسبة معلومة من الأرباح، وباقي الأرباح مع رأس المال يبقى ملكًا للمستأمنين، ولكن يدفع من هذا المال المجتمع مبالغ التأمين لمن يصيبهم ضرر أو يلحق بهم خطر تبعًا لنصوص وثائق التأمين، وهذا هو عنصر التكافل، وما يبقى بعد ذلك لا يكون ملكًا للشركة بل يرد إلى المشتركين في التأمين بعد حجز الاحتياطات والمخصصات المطلوبة.

فإذا افترضنا أن مجموع ما حصلته الشركة مائة مليون، وأنها استثمرته فزاد عشرين مليونًا، أخذت من الربح عشرة ملايين، إذن يبقى للمشتركين في التأمين مائة مليون وعشرة ملايين، فإن كان عنصر التكافل، وهو ما دفعته من تعويضات بلغ ستين مليونًا، فإذن يبقى خمسون مليونا، وهو يمثل نصف الأقساط المدفوعة، وعندئذ قل ما يبقى للمستأمنين، وكلما قلت التعويضات زاد ما يبقى للمستأمنين، وفي كلتا الحالتين لا تغرم شركة التأمين الإسلامية ولا تغنم، وإنما ترد ما بقي للمشتركين في التأمين.

بهذا يتبين لنا الفرق الكبير، والخلاف الشاسع، بين شركة التأمين التجارية التي تقوم على الربا والقمار والغرر، وبين شركة التأمين الإسلامية التي تقوم على أساس شركة القراض، والاستثمار الحلال لصالح المشتركين في التأمين.



وهذه الشركات الإسلامية وإن تأخر قيامها، غير أنها بحمد الله تعالى بدأت تكثر وتنتشر حتى اقتربت من العشرين، وقد تزيد عن العشرين أو أكثر عند قراءة ما أكتبه الآن.

ونجد منها خمس شركات إسلامية في السودان وحدها، وثلاثًا في البحرين، واثنتين في السعودية، وشركة في كل من الإمارات، ولوكسمبورج، وتركيا، وقطر، وتونس، والبهاما.

وكما أفتى مجمع الفقه الإسلامي بأنه لا يجوز للمسلم أن يتعامل مع بنك ربوي متى استطاع أن يتعامل مع بنك إسلامي، نقول هنا أيضًا بأنه لا يجوز للمسلم أن يتعامل مع شركة تأمين تجارية متى استطاع أن يتعامل مع شركة تأمين إسلامية.

التأمين الاجتماعي:

التأمين الاجتماعي ليس تأمينًا خاصًا بشخص يخشى خطرًا معينًا، حتى يندرج تحت التأمين التجاري، وإنما هو تأمين عام لا يهدف إلى الربح ولكن يهدف إلى مساعدة مجموعة من الأفراد، قد يكثر عددهم جدًا فيصل إلى الملايين، مثل ما تقوم به دول التأمين على أبنائها من العمال والموظفين مما يعرف بنظام التقاعد أو المعاشات، فتقتطع من الأجور والرواتب نسبة معينة، فإذا بلغ سن التقاعد أو وصل إلى المعاش، يصرف له معاش شهري، أو يأخذ مكافأة مالية تساعده في حياته، وكذلك ما يعرف بالتأمينات الاجتماعية، والتأمينات الصحية.

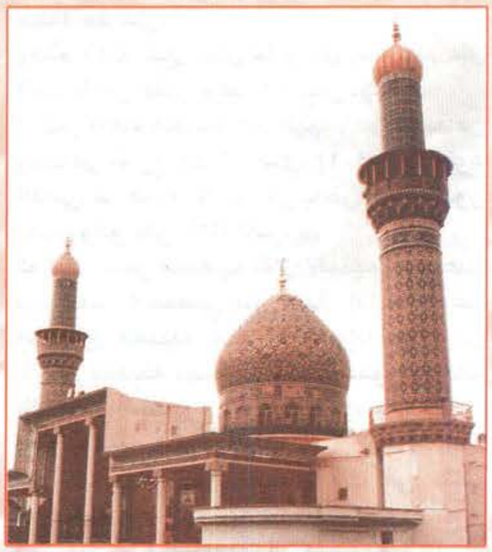
وقد تقوم شركات أو هيئات بمثل هذه التأمينات، فيستفيد منها موظفوها وعمالها، وقد تقوم بما يعرف بالتأمينات الادخارية؛ حيث تعرض على موظفيها اقتطاع نسبة معينة من الراتب شهريًا، وتقوم هي بدفع مبلغ مثل هذه النسبة، أو أكبر منها، وهو الغالب، ثم تدخر هذه المبالغ المتجمعة لتصرف للموظف عند ترك العمل بشروط معينة، وعرض عليَّ عدد من نظم هذه التأمينات، وقد وجدت معظمها يضع هذه المبالغ في البنوك الربوية، ومن هنا يأتي التحريم، مع أن التأمين هنا ليس تجاريًا ولا يهدف إلى الربح، وإنما هو تعاوني! ووجدت شركات أخرى تضع المبالغ المدخرة في مصارف إسلامية تجنبًا للربا المحرم، ويمكن الاستثمار أيضًا بطرق مشروعة غير الإيداع، كالتجارة في أسهم شركات إسلامية.

وإلى لقاء قادم إن شاء الله تعالى وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه اجمعين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة تلقين الميت بعد الدفن

الحلقة «١٣٨»



إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ مما أدى إلى انتشار بدعة تلقين الموتى بعد الدفن في المدن والقرى والنجوع، وتخصص لها أناس يحفظون متن هذه القصة يقومون على رأس قبر الميت بعد دفنه بتلاوته اعتقادًا منهم أنه من السنة لوجوده في كتب السنة، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

أولاً: المتن:

رُوِيَ عَنْ سعيد بن عبد الله الأودي قال: شهدت أبا أمامة وهو في النزع فقال: إذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصنع بموتانا: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل: يا فلان بن فلان، فإنه يسمعه ولا يجيب، ثم يقول: يا فلان بن فلانة، فإنه يستوي قاعدًا، ثم يقول: يا فلان بن فلانة فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله ولكن لا تشعرون، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، وبالقرآن إمامًا، فإن منكرًا ونكيرًا يأخذ واحدُ منهما بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ما نقعد عند من لقن حجته فيكون الله حجيجه دونهما».

فقال رجل: يا رسول الله، فإن لم يعرف أمه؟

قال: «فينسبه إلى حواء يا فلان بن حواء».

ثانيًا: التخريج:

أخرج هذه القصة الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٩٨/٨) (ح٧٩٧٩) قال: حدثنا أبو عقيل أنس بن سلم الخولاني حدثنا محمد بن إبراهيم بن العلاء الحمصي حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا عبد الله بن محمد القرشي عن يحيى بن أبي كثير عن سعيد بن عبد الله الأودي قال: «شهدت أبا أمامة وهو في النزع». القصة.

ثالثًا: التحقيق:

هذه القصة واهية، وسندها مسلسل بالعلل:

العلة الأولى: سعيد بن عبد الله الأودي أو الأزدي الراوي عن أبي أمامة.

أ- أورده الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧٦/١/٢) فقال: «سعيد الأزدي روى

عن أبي أمامة الباهلي» لم ينسبه لأبيه ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً فهو في عداد المجهولين.

ب- لذلك بعد أن أورد الحافظ الهيثمي هذا الخبر الذي جاءت به القصة في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٣٢٤/٢) قال: «رواه الطبراني في (الكبير)، وفيه من لم أعرفه جماعة». اهـ.

قلت: فمنهم كما تبين ممن لم يعرف سعيد الأزدي ولذلك لم يذكر فيه الإمام ابن أبي حاتم جرحًا ولا تعديلاً، ويؤكد ذلك الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (١٣٦/٢) (ح٧٩٦) حيث قال: «والراوي عن أبي أمامة: سعيد الأزدي بيَّض له ابن أبي حاتم». ومعنى ذلك أنه مجهول لديه لم يقف على حاله.

العلة الثانية: يحيى بن أبي كثير:

أ- أورده الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٥٦/٢) قال: «يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم، أبو نصر اليمامي يدلس ويرسل». اهـ.

ب- أورده الحافظ ابن حجر أيضًا في «طبقات المدلسين» (المرتبة الثانية/ ٣٠) قال: «يحيى بن أبي كثير اليمامي من صغار التابعين كثير الإرسال، ويقال لم يصح له سماع من صحابي ووصفه النسائي بالتدليس». اهـ.

جـ- أورده الإمام السيوطي في «أسماء المدلسين» (٦٦) قال: «يحيى بن أبي كثير مشهور بالتدليس ذكره النسائي». اهـ.

د- نقل الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» (ص٤٧٥) عن يحيى القطان أنه قال: «مرسلات يحيى بن أبي كثير تشبه الريح؛ لأنه كان كثير الإرسال والتدليس». اهـ.

قلت: ويحيى بن سعيد القطان قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٤٨/٢): «يحيى بن سعيد أبو سعيد القطان البصري، ثقة، متقن، حافظ، إمام، قدوة مات سنة ثمان وتسعين مائة وله ثمان وسبعون». اهـ.

م- قال الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢٠٥١/٤٢٣/٤): «يحيى بن أبي كثير اليمامي ذكرَ بالتدليس».

ن- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٦٠٧/٤٠٢/٤): «يحيى بن أبي كثير اليمامي ذكره العقيلي في كتابه، ولهذا أوردته، فقال: ذُكِر بالتدليس». اهـ.

قلت: ولذلك أورده الإمام الذهبي في منظومته «أهل التدليس» قال:

خذ المدلسين يا ذا الفكر
جَابر الجعفي ثم الزهري

إلى قوله:

والثبت يحيى بن أبي كثير
والأعمش الناقل بالتحرير

هـ- حكم من ثبت عنه التدليس:

قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص١١٣) مسألة (٢٤): «حكم من ثبت عنه التدليس إذا كان عدلاً ألا يقبل منه إلا ما صرّح فيه بالتحديث على الأصح». اهـ.

قلت: وبتطبيق هذه القاعدة نجد أن يحيى بن أبي كثير لم يصرح في سند هذه القصة بالتحديث فنجده قد عنعن في روايته عن سعيد بن عبد الله الأودي كما هو مبين في السند الذي أوردناه آنفًا.

وبهذا تصبح القصة مردودة بثبوت التدليس والعنعنة، فكيف إذا أُضيفت إلى هذه العلة بقية العلل.

العلة الثالثة:

إسماعيل بن عيَّاش في روايته عن عبد الله بن محمد القرشي.

وهذه العلة تبين مدى ما وصل إليه علم علل الحديث من إتقان، وهذا هو بيان الإتقان:

أ- قال الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في «شرح علل الترمذي» (٦٠٩/٢): «النوع الثاني: من ضَعُف حديثه في بعض الأماكن دون بعض وهو على ثلاثة أضرب».

ثم ابتدأ بذكر أسمائهم فقال: «فمنهم: إسماعيل بن عيّاش الحمصي أبو عتبة: إذا حدَّث عن الشاميين فحديثه عنهم جيد، وإذا حدث عن غيرهم فحديثه مضطرب هذا مضمون ما قاله الأئمة فيه، منهم أحمد، ويحيى، والبخاري، وأبو زرعة».

ثم قال: «وقد ذكر الترمذي ذلك في كتاب الوصايا».

قلت: بالرجوع إلى «سنن الترمذي» (٣٧٦/٤- ط شاكر) قال الإمام الترمذي: «ورواية إسماعيل بن عياش عن أهل العراق وأهل الحجاز ليس بذلك فيما تفرد به لأنّه روى عنهم مناكير، وروايته عن أهل الشام أصح، هكذا قال محمد بن إسماعيل». اهـ.

ب- قلت: وفي «سنن الترمذي» (٢٣٦/١) أبواب الطهارة - باب «ما جاء في الجنب والحائض» قال الإمام الترمذي: «سمعت محمد بن إسماعيل يقول: إنَّ إسماعيل بن عياش يروي عن أهل الحجاز وأهل العراق أحاديث مناكير». اهـ.

جـ- وفي «علل الترمذي الكبير» (ح٧٥) قال الترمذي: «سألت محمدًا - يعني ابن إسماعيل البخاري - عن حديث إسماعيل بن عيَّاش». فقال: «إسماعيل بن عياش منكر الحديث عن أهل الحجاز وأهل العراق». اهـ.

د- قلت: وإتمامًا للفائدة نذكر القارئ الكريم بأن كتاب «علل الترمذي الكبير» يحوي أكثر من سبعمائة مسألة في العلل تعتبر عند علماء هذا الفن «سؤالات أبي عيسى الترمذي للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ومن قبله يسأله الإمام مسلم في الأسماء والعلل والإمام البخاري يمر فيها كالسهم كما في «هدي الساري» ص(٥١٣) حتى قال أحمد بن حمدون القصار وهو أبو حامد الأعمش: سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل فقبل بين عينيه، وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله». اهـ.

م- قلت: فلا يعرف قدر البخاري إلا أهل الحديث، أما أهل الكلام، الذين انتشروا على الفضائيات في هذه الأيام وإنهم من جهلهم ليطعنون في سيد المحدثين وطبيب الحديث في علله الإمام البخاري فصفحات المجلة أغلى وأعلى من أن أفرد ردًّا على إفكهم، وحسبنا ما أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ح١٥٦) عن الثقة الحافظ أحمد بن سنان القطان قال: «ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يتبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نُزع حلاوة الحديث من قلبه». اهـ.

ن- والإمام البخاري طبيب الحديث في علله وبقوله في إسماعيل بن عياش استخرجنا العلة من أحاديثه المناكير؛ حيث بين أن إسماعيل بن عياش منكر الحديث عن أهل الحجاز وأهل العراق وأقره على ذلك أئمة الجرح والتعديل الدولابي ويعقوب بن شيبة وابن عدي، ومضر بن محمد الأسدي، وأبو داود، وعلي بن المديني، والفلاس، والنسائي، وأبو أحمد الحاكم، والبرقي، والساجي. نقله عنهم الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢٨٣/١).

هـ- وبتطبيق هذه القاعدة في «العلل»: «من حدث عن أهل إقليم فحفظ حديثهم وحدث عن غيرهم فلم يحفظ» بتطبيقها على إسماعيل بن عياش يتبين أنه:

١- إذا حدث عن الشاميين فحديثه جيد.

٢- إذا حدث عن أهل الحجاز وأهل العراق فحديثه مضطرب منكر.

٣- وبما أن إسماعيل بن عياش حدَّث بخبر هذه القصة عن عبد الله بن محمد القرشي.

٤- وعبد الله بن محمد القرشي والده محمد بن عجلان المدني القرشي مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة فهو مدني وليس من الشاميين، وهذا ما بينه سيد المحدثين الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (١٨٨/١/٣) وكذلك (١٩٦/١/١).

هـ- مما أوردناه آنفًا حول تطبيق هذه القاعدة يتبين أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة من رواية إسماعيل بن عياش عن غير الشاميين فهو خبر منكر واه.

نستنتج من هذا التحقيق أن قصة «تلقين الميت بعد الموت» قصة واهية خبرها مسلسل بالعلل من الجهالة، والتدليس والنكارة.

رابعًا: طريق آخر للقصة:

وإلى القارئ الكريم هذا الطريق الذي أورده الإمام القرطبي في «التذكرة» (ص١١٩) قال: «خرجه الثقفي في الأربعين له، أنبأناه الشيخ المسنّ الحاج الراوية: أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح بن أبي الحسن القرشي - عرف بابن رواح - بمسجده بثغر الإسكندرية حماه الله، والشيخ الفقيه الإمام مفتي الأنام أبو الحسن علي بن هبة الله الشافعي بمنية ابن خصيب على ظهر النيل بها قالا جميعًا: حدثنا الشيخ الإمام الحافظ أبو ظاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني قال: أخبرنا الرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد بن محمود الثقفي بأصبهان، أخبرنا أبو علي الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدان التاجر بنيسابور، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا أبو الدرداء هاشم الأنصاري، حدثنا عتبة بن السكن الفزاري

الحمصي، عن أبي زكريا، عن حماد بن زيد، عن سعيد الأزدي قال: دخلت على أبي أمامة الباهلي وهو في النزع فقال لي: يا سعيد إذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصنع بموتانا، فقال: «إذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل: يا فلان بن فلانة». القصة.

قُلْتُ: هذا الطريق سنده تالف وعلته: عتبة بن السكن الفزاري الحمصي.

١- أورده الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/٣٧١/٢٠٤٦) قال: «عتبة بن السكن الشامي روى عنه أبو الدرداء».

٢- قال الإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني المتوفى سنة (٣٨٥هـ) في كتابه «السنن» (١/٣٧٥) (ح٥٨٤): «عتبة بن السكن منكر الحديث». اهـ.

٣- وقال أيضًا الإمام الدارقطني في «السنن» (٢/٣٩٩) (ح٢٢٤١) و(٣/١٧٩) (ح٣٥٥٧): «عتبة بن السكن متروك الحديث». اهـ.

٤- وقال الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ) في كتابه «السنن الكبرى» (٧/٢٤٣): «عتبة بن السكن منسوب إلى الوضع».

٥- ولقد بين الإمام السيوطي في «التدريب» (١/٢٧٤) النوع (٢١) حدَّ الحديث الموضوع قال: «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

٦- ولقد أقر الإمام الذهبي قول الإمام الدارقطني حيث قال في «الميزان» (٣/٢٨/٥٤٧١): «عتبة بن السكن قال الدارقطني: متروك الحديث».

٧- وكذلك أقرّ الحافظ ابن حجر قول الإمام الدارقطني وقول الإمام البيهقي؛ حيث قال في «اللسان» (٤/١٤٨) (١١٤١/٥٤٩٢): «عتبة بن السكن قال الدارقطني: متروك الحديث، وقال البيهقي: عتبة بن السكن واهٍ منسوب إلى الوضع». اهـ.

٨- مما أوردناه آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل يتبين أن عتبة بن السكن متروك الحديث منسوب إلى الوضع.

فهذا الطريق بهذا التحقيق لا يزيد القصة إلا وهنًا على وهن، وذلك بتطبيق القاعدة التي نقلها الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٢٣).

«قال الشيخ أبو عمر: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا؛ لأن الضعيف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

قلت: وهذه القاعدة ردٌّ على أهل البدع الذين يذهبون إلى تقوية الحديث لمجرد نقلهم عن غيرهم أن له طرقًا دون أن يقفوا عليها ويعرفوا ماهية ضعفها.

خامسًا: حكم الأئمة على حديث القصة:

١- قال الإمام النووي في «المجموع» (٥/٣٠٤) بعد أن عزاه للطبراني: «إسناده ضعيف، وقال ابن الصلاح: ليس إسناده بالقائم».

٢- وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/٤٧٦): «الحديث في تليقن الميت في قبره أخرجه الطبراني بإسناد ضعيف».

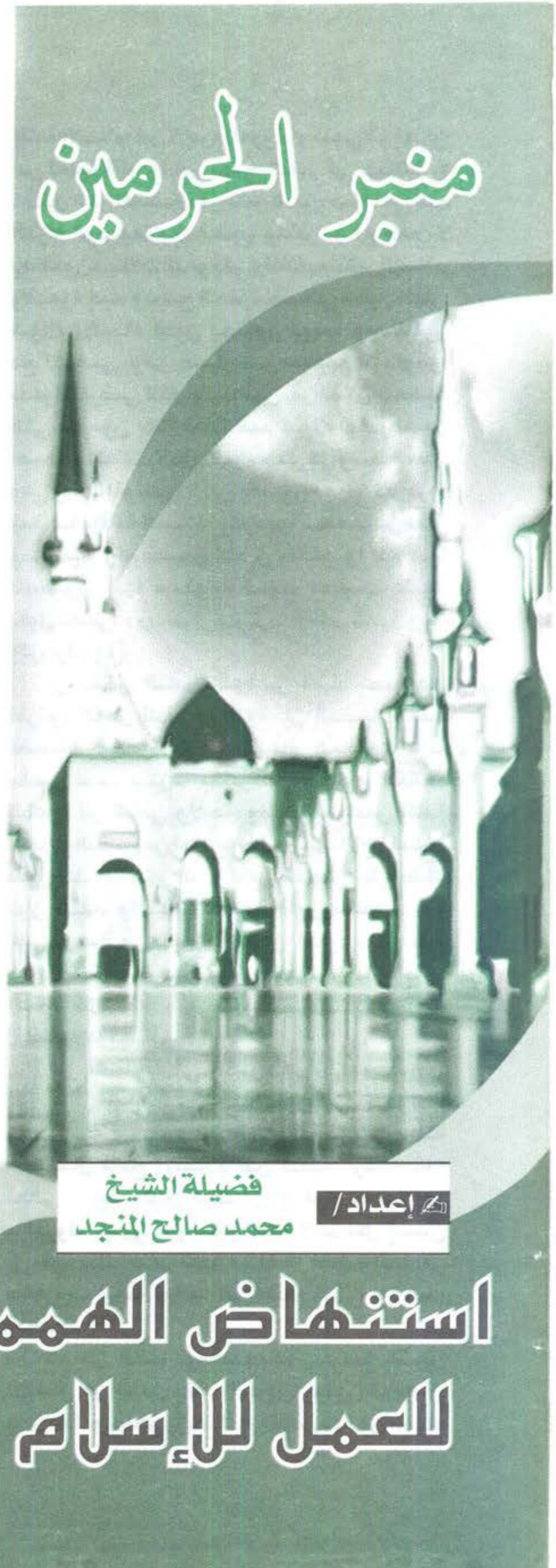
٣- وقال الإمام ابن القيم في زاد المعاد (١/١٤٥): «وأما الحديث الذي رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح رفعه». اهـ.

٤- وقال الإمام الصنعاني في «سبل السلام» (١/٥٧٧): «وبتحصيل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف، والعمل به بدعة، ولا يغتر بكثرة من يفعله». اهـ.

سادسًا: ما صح عند الفراغ من دفن الميت:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل». أخرجه أبو داود في «السنن» (ح٣٢٢١)، والحاكم (١/٣٧٠)، والبيهقي (٤/٥٦)، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي وقال النووي (٥/٢٩٢): «إسناده جيد».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.



استنهاض الهمم للعمل للإسلام

إعداد/ فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالعمل، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم، والعمل للدين -يا عباد الله- هو حياة الإنسان المسلم الذي يعبد الله سبحانه وتعالى على بصيرة.. العمل وترك البطالة والكسل ينبغي أن يكون منهج حياتنا.. العمل للإسلام واغتنام الفرص لأجل ذلك.. العمل لإعزاز دين الله.. العمل لرفع راية لا إله إلا الله.

إن العمل -أيها المسلمون- هو ما ينبغي علينا أن نقوم به، لأن من حق الله عز وجل علينا أن نعمل لدينه، وأن نقوم بما يريده منا سبحانه وتعالى، ولذلك خلقنا لأجل أن نعمل.

العمل للإسلام واجب لا مفر منه

إن العمل للإسلام واجب لا مفر منه، وإن المعوقات عن هذا الواجب لا بد من إزالتها والتغلب عليها، والعمل للإسلام في جميع مراحل العمر، فإن من نعم الله علينا في هذا الدين أن العمل له صالح في كل الأعمار، للصغير والكبير، والذين يقولون: إن السن قد تقدم ولا مجال للعمل، وقد رقّ العظم، وظهر الشيب، فلنتركه للشباب.. إن هؤلاء ما فقهوا دين الله تعالى، وقد قال عز وجل: « وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾» [الحجر:٩٩]. قال الحسن البصري رحمه الله: «لم يجعل الله للعبد أجلاً في العمل الصالح دون الموت»، فالنهاية التي نقف عندها هي الموت، ألم تر أن ورقة بن نوفل رضي الله تعالى عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً». هذا مع كبر سنه وذهاب بصره، وتمنى أن يكون فيها جذعاً قوياً عندما يظهر أمر الدعوة، ليقوم بالواجب.. إن مثل هذه الأمنية تنفع صاحبها عند الله، لأن الأعمال بالنيات. وقال أبو طلحة الأنصاري لما قرأ سورة براءة، وأتى على هذه الآية: «ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا» [التوبة:٤١] قال: «أرى ربنا عز وجل استنفرنا شيوخاً وشباباً، جهزوني أي بني. فقال بنوه: يرحمك الله! قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات، ومع

أبي بكر رضي الله عنه حتى مات، ومع عمر رضي الله عنه حتى مات، فنحن نغزو عنك، فأبى، فجهزوه فركب البحر، فمات غازياً في البحر في سبيل الله، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، ولم يتغير، فدفنوه فيها». [صحيح ابن حبان: ٧١٨٤].

متى يجد العبد طعم الراحة؟

إن العبد لا يجوز له أن يطعم طعم الراحة التامة والنهائية من العمل ولا يستريح إلا بالموت، بل قال الإمام أحمد -رحمه الله- لما سئل: متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة. وهؤلاء الأنبياء بعثوا بعد الأربعين، وعملوا إلى الموت، وهذا عمر رضي الله عنه يعمل في مصالح المسلمين، وهو مطعون وجرحه يثعب دماً!!

إن الدنيا تشغلنا عن العمل للإسلام كثيراً، وإن أوقات الكثيرين لتذهب في قضايا الدنيا، وبعضهم يعمل مع أنه يكسب أكثر من حاجته، لكن الطمع في الدنيا يجعله يعمل زيادة، ولو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى أن يكون له ثان، وهكذا... فإذا قنعك الله -يا عبد الله- بما رزقك، فاستعمل بقية وقتك في خدمة دينك، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «فاتقوا الله وأجملوا في الطلب». [ابن ماجه ٢١٤٤، وصححه الألباني].

وإن الانهماك التام في الأعمال الدنيوية يضيع على العبد فرصاً عظيمة لنيل الأجر والثواب، فكيف بمن ينشغل بالدنيا عن عمل الآخرة؟! وقد مدح الله المؤمنين الذين يتركون عمل الدنيا عند حضور عمل الآخرة، فقال: « فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) » [النور:٣٦-٣٧]. وترى بعض الطلاب ينهمكون في دراسات قد لا تعود عليهم بفائدة في أمتهم ودينهم، ويعملون أكثر من المطلوب، ويستهلكون وقت اليوم كله في أمور الدنيا، كما يستهلكه أولئك التجار وغيرهم من العاملين للدنيا، من عمل إلى عمل، ومن قضية إلى قضية، إلى آخر اليوم.. فماذا بقي للآخرة إذاً؟

أين العمل للآخرة في برنامجك اليومي؟

يا أخا الإسلام: أين العمل للآخرة في برنامجك اليومي؟ هذه الصلوات تؤديها، لكن العمل لإعزاز الدين ونشره والدعوة إليه أين هو في حياتك؟ أين إقامة الإسلام؟ أين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أين تعليم الشرع؟ أين نصح الناس في حياتك؟ لما تخاذل أكثر المسلمين عن نشر الدين؛ صرنا في هذه المنزلة الوضيعة بين الخلق، وكثيرٌ من الموظفين لا يغتنمون مجالات الدعوة في وظائفهم لنشر الإسلام، والدعوة إليه، ونصح الخلق. خذ على سبيل المثال: هؤلاء الأطباء الذين يحتكون يومياً ويتعاملون مع المرضى، ومن أسهل شيء عليهم أن يقوموا بدعوة المرضى للتمسك بالدين، من خلال المعالجة التي يقومون بها، فماذا قدم هؤلاء وغيرهم من أصحاب المكاتب لأجل الدين، حتى في وسط العمل، وفي وسط الموظفين الذين يعملون معهم؟ كم أمروا شخصاً بإقامة الصلاة؟ وكم نهوا شخصاً عن منكر ومعصية؟ وكم نصحوا للدين وأخلصوا لله؟ أيها المسلمون: إنها مسئولية سوف نحاسب عليها، يقول تعالى: « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) » [الزخرف:٤٤].

إن بعض الناس أُتُوا من فساد تصورهم، فتركوا العمل للدين، وقالوا: إن القضية ليست قضيتنا، ونحن نتركها للدعاة العاملين، وأنا مقصر لست ملتزماً بكثير من الأحكام، فليست الدعوة من شأني ولا من وظيفتي، وليس إقامة الدين والنصح من أمري.. كيف -أيها الأخ المسلم- تقول ذلك؟ إن نشر الدين ليس مقتصراً على طبقة دون طبقة، ولا على مستوى دون مستوى، ولا على نوعية من المسلمين دون أخرى، بل كلنا دعاة وكلنا ناصحون، وكلنا يجب أن نقوم بأمر الدين، قال الله: « وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) » [المطففين:٢٦]..

أين المسارعة في الخيرات؟ «أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) » [المؤمنون:٦١]، كل واحد يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «وقد تبين بذلك أن الدعوة نفسها أمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر، فإذاً لا بد لكل إنسان أن يقوم بذلك، ليس نهياً عن المنكر فقط، وإنما أمر بالمعروف أيضاً، وإنما هو تعليم للدين، وإرشاد ونصح».

كم من الخلل والعيب يكون عندما ينشغل الإنسان عن العمل بنقد الآخرين، فيكون شأنه أن يلمز هذا، ويسخر من هذا، وينتقص هذا من الدعاة

العاملين، وهو لا يعمل شيئاً؟!

إن الذي يعمل هو الذي يخطئ، والذي لا يعمل قد لا يُرى منه خطأ، فلا يغرنك ألا ينتقد شخص، فربما يكون سبب عدم انتقاده أنه لا يعمل أصلاً.

حساسية بعض الناس من النقد

إن حساسية بعض الناس من النقد تجعله يترك العمل، ويقول في نفسه: لماذا أصبر على لوم الناس؟ وما الذي يجبرني على تحمل هذه الانتقادات؟ فيترك العمل، وهل الدين إلا مناصحة، ودل على العيوب؟ كما قال عمر رضي الله عنه داعياً ربه: «رحم الله امرأً أهدى إلينا عيوبنا»، وكذلك كان الصالحون يطلبون النقد لأعمالهم والتصحيح، ولذلك قال ميمون بن مهران رحمه الله: «قولوا لي ما أكره في وجهي؛ لأن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره». وليس المقصود إساءة الأدب، ولا التطاول والتعدي، ولكن يكون النصح في بعض الأحيان ثقيلاً على النفس؛ لأن فيه نوع انتقاد، ألا فلا ينبغي أن يمنع هذا، أو أن يترك الإنسان العمل لأجل خوف نقد الآخرين، فإن شخصية المسلم ليست شخصية هزيلة، وإن مرضاة الناس لا تقدم عنده على مرضاة الله عز وجل. ثم إن بعض هؤلاء يقولون: إن الآخرين لا يقدرون جهودنا.. سبحان الله! وهل نحن نعمل لأجل أن يقدر الآخرون جهودنا؟ إننا نعمل لوجه الله.. «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾» [الإنسان:٩] وكل ما لا يُراد به وجه الله يضمحل ويذهب.

فإذا كان القصد أن يثني الناس على أعمالنا فقد هلكنا والله، فينبغي أن نعمل سواءً قدّر الآخرون جهدنا وأثنوا علينا، أو لم يثنوا علينا، ذكرونا بخير أو ذكرونا بغيره، فإنه ينبغي علينا أن نعمل؛ لأن الثناء من الله هو مقصودنا، وكذلك ينبغي أن يكون الثواب من الله عز وجل هو الباعث لنا على العمل، لا ثناء الناس ولا مدحهم.

أيها الإخوة: إننا في حال نحتاج فيه إلى أن نصبر أنفسنا مع العمل للإسلام، وألا نتغير مزاجياً مع الأمور والأودية والأنواع والمجالات، فلا نتم هذا ولا نتم هذا، بل «إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه» فإذا أمسكت بعمل -يا عبد الله- فأتمه وأتقنه.

ولم أر في عيوب الناس عيباً
كنقص القادرين على التمام

فاثبت عليه وأتمه وأتقنه، وعند ذلك تكون منجزات تحسب لك عند الله عز وجل، أما الانقطاع في منتصف الطريق، والتغير من مكان إلى مكان، دون أن يكون في ذلك مصلحة شرعية، فهي من خدع إبليس، يريدك ألا تتم هذا ولا تكمل هذا، حتى لا تظهر الثمرة ولا يُنتفع بالعمل.

فبعض الناس يريد الحياة أن تكون سهلة مريحة، خالية من كل ما يكدر الخاطر ويتعب البال، وهذه حياة ليست والله بحياة كريمة، فإن المسلم ينبغي أن يسعى في طاعة ربه، ولو كان ذلك متعباً، ولو كان ذلك قاسياً، ولو كان ذلك شاقاً؛ لأنه يريد الحياة المريحة في الجنة.

فإذا أحس الإنسان بأن ما يتجرعه المسلمون من الذل اليوم هو من ماء صديد، فإنه يرفض أن يتجرع الكأس مع الآخرين، فينهض للعمل، وينفض عنه غبار النوم والكسل، ويقوم لله تعالى بالواجب والمطلوب.

أهمية الصلة القوية بالله تعالى

إن العمل لا يعظم ولا يندفع الإنسان له -ونتحدث عن عمل الآخرة بالذات- إلا إذا كان للمرء صلة قوية بربه، ولذلك كان العابدون أعظم المندفعين للعمل؛ لأن صلتهم القوية بالله عز وجل كانت تجعلهم يغتنمون أوقاتهم في العمل للدين. قال الوليد بن مسلم رحمه الله تعالى: رأيت الأوزاعي يثبت في مصلاه، يذكر الله حتى تطلع الشمس. وأخبروا عن بعض السلف أنهم كان هذا هديهم، في ذكر الله إلى طلوع الشمس، ثم يقوم بعضهم إلى بعض -بعد الخلوة والعبادة الفردية- يفيضون في ذكر الله تعالى، والتفقه في دينه، قال ضمرة بن ربيعة: «حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة، فما رأيته مضطجعاً في المحمل، كان يصلي فإذا غلبه النوم استند إلى القتب، وكان يحيي الليل صلاة وقرآناً وبكاءً، حتى إن أمه كانت تدخل منزله وتتفقد موضع مصلاه، فتجده رطباً من دموعه في الليل». قال ابن جريج: «صحبت عطاء ثماني عشرة سنة، وكان بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة، فيقرأ مائتي آية من البقرة، وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك».. فكيف إذاً كان لما كان قوياً؟! وكان الربيع بن خثيم يبكي حتى يبل لحيته من دموعه ثم يقول: أدركنا قوماً كنا في جنبهم لصوصاً. أي:

إذا نسبنا أنفسنا إليهم، وأعمالنا إلى أعمالهم، كنا في جنبهم لصوصاً، وهكذا يقول مع شدة عمله.

إن العمل في النهار يحتاج إلى عبادة بالليل، والعمل في الضحى يحتاج إلى ذكر بعد الفجر، وهكذا إذا كان الإنسان حسن الصلة بالله قوي العبادة، كان ذلك زاداً له في طريق الدعوة، وتحصيل العلم، ونشر الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثم إن من أكثر ما ذبح أولئك الذين يريدون العمل: زوجات غير صالحات، أشغلنهم في أمور الدنيا، وأركبنهم مطاياها، وذهبن بهم في أوديتها، كما قال الإمام مالك رحمه الله: «ينطلق أحدهم فيتزوج امرأة قد سمّنها أبواها وترفوها، حتى كأنها زبدة، يتزوجها فتأخذ بقلبه، فيقول لها: أي شيء تريدين؟ فتقول: كذا وكذا. فيأتي به، ثم يقول: أي شيء تريدين؟ فتقول: كذا وكذا. فيأتي به، فتمرط والله دينه وتمزق، ولو أنه تزوج يتيمة ضعيفة كساها أُجِرَ على ذلك». إذاً: ينبغي أن يكون إرضاء الله مقدماً على إرضاء الزوجات والأولاد، ولكل حقٍ يجب القيام به، فـ «إن لربك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه». [البخاري: ١٦٨٧].

الأسباب الداعية لمواصلة العمل للإسلام

إن من أعظم الأسباب الداعية إلى مواصلة العمل للإسلام وعدم تركه: أن يكون الإنسان مع العاملين المخلصين.. أن يؤاخيهم، ويرافقهم، وألا ينفصل عنهم.. المحيا محياهم، والممات مماتهم، وهكذا يكون معهم أخاً صادقاً.. «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» [الحجرات:١٠] يكونون كالبنيان المرصوص في مواجهة كيد الأعداء، ويكونون كالجسد الواحد في التآخي فيما بينهم، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.. إن الانفصال عن الأخيار العاملين هو الداء الوبيل، وهو الشر الكبير. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» [الحاكم ٧٦٥، وصححه ووافقه الذهبي]، وذكرنا بأن يد الله مع الجماعة، وذكّرنا بأن البركة في ثلاث: في الجماعة، والثريد، والسحور. إذاً: الجماعة المجتمعون على الخير بركة، فإذا كنت مع الأخيار عملت، وأججوك وأزوك للعمل ودفعوك، واقتديت بهم، ونلت نصيحة أو حافزاً وحماساً، أو تسديداً وستراً على عيب، وتكميلاً لشخصية، واقتباس خلق، وعلم، ونحو ذلك من الفوائد العظيمة.

شر ما يقطع الإنسان عن العمل للدين

إن المعاصي من شر ما يقطع الإنسان عن العمل للدين، وإن الشيطان ليستثمر المعصية استثماراً ويرابي فيها، بحيث تكون قاطعة عن الله والدار الآخرة، ولا يزال يقول لمن اتبع دربه ومشى في ركبه: أنت عاص مقصّر، لا يليق بك أن تدعو وتعمل وتنصح.. ولا شك أن هذا في الحقيقة إضافة تقصير إلى تقصير، فلو أن المقصر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأجل هذه الحجة الواهية، التي ليست بحجة أصلاً، فماذا سيحدث أيها الإخوة؟ إنه سيضيف إلى معاصيه وتقصيره معصية وتقصيراً آخر، وهو ترك إنكار المنكر الواجب، وترك النصيحة الواجبة في الدين. وهكذا يتنقل الشيطان بالمرء من حفرة إلى حفرة، وينزل به سلم الدرج حتى يورده قاع الذل والهزيمة والمعصية، فإياكم -يا عباد الله- من الاستجابة لهذه الخدعة الإبليسية!!

إن الإنسان المسلم قد تعرض له عوارض، فيعرض له ضعف، ويعرض له شيء من الكسل والخمول، فعليه أن يزيله بالإقبال على الله، والانطراح بين يديه، والذل عنده.. يقف ويناشد ربه أن يعيد إليه إيمانه جذوة مشتعلة، وحماسة متقدة، وأن يأخذ بيده إلى سبيل الطاعة والنهوض بنفسه مرة أخرى، ويطلب من إخوانه المسلمين أن يكونوا عوناً له ومدداً في تجاوز هذا الحال المؤقت.

إن هذه المنعطفات الموجودة في طريق الطاعة عند كثير من الناس ينبغي أن يتغلب عليها لا أن يستسلم لها، وأن نأخذ من كتاب ربنا ومن سيرة سلفنا ونبينا إمامهم وقدوتهم العلاج في مواجهة مثل هذه الحالات التي تحدث لدينا من كسل أو خمول أو تباطؤ أو فتور، بل حتى وانتكاس، لنعود مرة أخرى متغذين بهذه المحفزات لأعمال الخيرات، وأن نرجع مرة أخرى إلى الطريق كما كنا وأفضل مما كنا، والسعيد من عرف كيف يعالج نفسه، ولو أنك لم تهتد إلى علاج فسألت من إخوانك من يدلك على الطريق والعلاج لكان ذلك من الحكمة العظيمة.

إن القضية تحتاج إلى مكابدة، وإلى تعب نفس.. «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ» [العنكبوت:١٤] فهذا نوحٌ يدعو قومه تسعمائة وخمسين عاماً من غير كلل ولا ملل، هذه الهمة العالية من نبي الله الكريم في القيام بالواجب، وحتى التغلب على عيوب النفس يحتاج إلى مصابرة، قال ابن المنكدر: «كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت». وكذلك قال ثابت البناني عن الصلاة: «كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة». وهذه العبارة توضح لك -يا عبد الله- كيف تتم المصابرة في موضوع مثل قيام الليل، الذي يكون شاقاً على النفس، ومُراً عندما يحاول الإنسان أن يفعله وأن يطيل فيه، ولكن الحل والعلاج هو الاستمرار حتى تأتي الحلاوة، فإن الحلاوة قد لا تأتي إلا بعد وقت من الزمن.

إن الاستمرار في الأعمال يرزق الإنسان به حلاوة إيمان يستشعر طعمها حتى يفارق الدنيا، فهذا ربيعة بن يزيد ما أذن المؤذن لصلاة الظهر أربعين سنة إلا وهو في المسجد، إلا إذا كان مريضاً أو مسافراً. وهذا بشر بن الحسن الصفي، سمي بالصفي؛ لأنه كان يلزم الصف الأول في مسجد البصرة خمسين سنة. وهكذا كانت الأعمال ترتقي بهم من مرحلة إلى مرحلة حتى يحس المعاشر لهم أنهم يزدادون كل يوم، وهذه هي القضية العظيمة. قال إبراهيم الحربي -رحمه الله- وهو من أصحاب الإمام أحمد عن شيخه: «ولقد صحبته عشرين سنة صيفاً وشتاء، وحراً وبرداً، وليلاً ونهاراً، فما لقيته في يوم إلا وهو زائد فيه عما بالأمس».

أين أنت والطريق؟!

يا مطعوناً في العزم: أين أنت والطريق؟! طريق تعب فيه آدم، وبكى لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأُضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف نحن باللهو واللعب؟!

عباد الله: ليكن شعارنا: «وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ» [النحل:١٢٧].. «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾» [آل عمران:٢٠٠] كيف يهنأ المسلم بعيش ويرتاح له بال؟! وهو يرى أفراد أمته يجرون وراء اليهود والنصارى والكفار تشبهاً بهم. وما جرى في يوم عيد الحب ببعيد، عندما رأيت أنواع هذه الترهات يبيعها الناس في أسواقهم، الورود والبطاقات، وترسل التهاني عبر شبكة نسيج العنكبوت، وغير ذلك من أنواع التبادل، وتتحدث القنوات عن قضية عيد الحب، وتنتهي الورود الحمراء من المحلات، وتتقاذف القلوب الأوراق المقصوصة وغيرها على هيئة القلوب، تتنقل في أيدي شبابنا وبناتنا. هذه الغيرة التي تأخذ بنفس الإنسان المسلم، والحسرة والغصة مما يتجرعه من هذا المرأى الشنيع لبنات وشباب من آباء وأمهات مسلمين، يعيشون مع المسلمين، ثم يصل بهم الانحدار إلى أن يركبوا مركب الكفار، ويسيروا في ركبهم، ثم تعمل الحفلات، وتسمع عن الديجيه وغير ذلك من أنواع الموسيقى والرقصات.. أناسٌ يهيمون في أودية إبليس، والشيطان يستجرهم.. هذا مثل واحد. ثم تجد في المقابل مذابح الشيشان، وتجد الطعن في العيون، وبقر البطون، وأنواع الاغتصاب، والإذلال والمجاعة.. مدن تهدم بأكملها على رءوس قاطنيها، وعاصمتهم تغلق، ومحصورون في الجبال وفي الثلوج والجوع، ثم هؤلاء يهيمون في الأسواق والمراكز التجارية وعلى الشواطئ يلعبون بالكفر والتشبه بالكفرة.. تهدم العقيدة، ويزلزل الدين، ويتشبه بالكفرة الذين يقاتلوننا.

القضية والله تدفع المسلم للعمل، وتحثه على المنازلة، والإقدام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، كفى لعباً، وكفى لهواً ونوماً وكسلاً، انفضوا ذلك الغبار، وقوموا لله بالواجب، وإلا فإن السفينة ستغرق والله.

اللهم إنا نسألك الهداية لنا وللمسلمين جميعاً، اللهم ردنا إلى الإسلام رداً جميلاً، ونعوذ بك من غضبك وعقابك، ومن أراد المسلمين بسوء اللهم فأرنا فيه عجائب قدرتك يا رب العالمين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



الإصلاح لا يتأتى بالتخريب.. وإنما يتأتى بشرع الله الحنيف

إعداد / أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فلقد اختار السواد الأعظم من شعبنا - ومن خلال كل صناديق الاقتراع - الإسلام، ليكون له شرعة ومنهاج حياة، وحُقَّ له ذلك، فهو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وفي الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» ثم تلا أبو هريرة راوي الحديث: «فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [الروم/ ٣٠].. [متفق عليه].

كما أنه - بحق - طريق الصلاح والإصلاح الأوحد، فمن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وعليه فقد أضحى من اختارهم الشعب مسئولين أمام الله، ومؤتمنين على حمل رسالة الإسلام والمحافظة على صفائها ونقائها بأمانة، بألا يغيروا ولا يجاملوا على حساب دينهم.

ولقد أخبرنا القرآن بأن الله يحب الصلاح ويكره الفساد، وأوضح أنهما وأصحابهما لا يتساويان، ومن ثم فقد جعل للمصلحين الأجر والمثوبة والعاقبة في الدنيا والآخرة، فقال جل وعلا: «تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)» [القصص: ٨٣]، وقال سبحانه: «وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ (١٧٠)» [الأعراف: ١٧٠]، وقال تبارك وتعالى: «وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ (٩)» [العنكبوت: ٩]..

وأخبر في المقابل بأنه جل وعلا لا يحب الفساد ولا المفسدين، فقال سبحانه: «وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ (٢٠٥)» [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥]، وعندما تكلم عن أفسد خلق الله على وجه الأرض قال: «وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٦٤)» [المائدة: ٦٤]، كذا بصيغة المضارعة المفيدة للتجدد والحدوث.. وأوضح في النهاية أنهما عنده لا يستوون، فقال تعالى: «أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾».. [ص: ٢٨].

وطريق الصلاح إنما ننشده في منهج الله؛ لأنه تعالى الذي خلق العباد ويعلم ما يصلحهم وما يفسدهم «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾». [الملك: ١٤]، والعباد يخفى عليهم ذلك في كثير من الأحيان، وعن ابن عباس عندما نزل قوله: «وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾» [الإسراء: ٣٤]، وقوله: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾» [النساء: ١٠]، انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه، وجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله: «وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ» [البقرة: ٢٢٠] أي: يعلم من كان قصده ونيته الإفساد أو الإصلاح باستثمار أموالهم عن طريق المتاجرة والمرابحة ونحوهما، فيحاسبه على نيته.

الأمر الذي يؤكد أن خالق العباد هو الخبير بأحوالهم، ومن ثم فهو هاديهم لما فيه خيرهم.. كما يؤكد على أن الصلاح إنما يكون بميزان الشرع لا بالأهواء، وإلا بات المخربون والمنافقون والمحاربون لدين الله - على نحو ما نرى - صلحاء وشرفاء وهيهات!!، ذلك أن القرآن عندما حدثنا عن المنافقين في صدر سورة البقرة، وذكر من أحوالهم أنهم ضعاف الإيمان «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾» [البقرة: ١١- ١٣]، فهم ما علموا أن من قواعد الإسلام: (ارتكاب أخف المفسدتين)، ولا أنه (لا ضرر ولا ضرار)، ولا أن (الضرر يزال).. إلى آخر ما يعلمه الراسخون في العلم ويقعدون له.

ويحدثنا القرآن عن صفات ونماذج من هذا الصنف الذي لا تزال تعاني منهم الأمرين المجتمعات الإسلامية في كل مكان، فيذكر لنا ما كان من هؤلاء المنافقين الكارهين للإسلام من تعصب وخلل في الولاء ومن قطع لأواصر الأهل والأقوام دون أن يدركوا مغبة ما يفعلونه، فهم «ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾».. [البقرة: ٢٧].. كما يذكر لنا ما كان من الفرعون القديم عندما قال للملأ من قومه: «إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾» [غافر: ٢٦]، وعندما جمع السحرة «فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾» [يونس: ٨٠- ٨١]، وكذا ما كان من فلوله وقوله تعالى بحقهم: «وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾» [الأعراف: ١٢٧- ١٣٠]، لكن المشكلة أنهم لا يذكرون، فلا تزال فلولهم وفلول من بعدهم يصدر عنهم ما كان يصدر من أسلافهم اليهود والمنافقين والفراعنة.. ويحكي القرآن ما كان من قبل مع قوم لوط عندما كانوا يعملون السيئات ويقولون مع إتيانهم إياها: «أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ» [النمل: ٥٦].

لذا كان ميزان الشرع دقيقاً وحكيماً عندما وضع علامات للفساد ومعايير وضوابط للصلاح ومثلها لمظاهر الفساد، ومن ذلك من غير ما سبق وسيأتي ما جاء في قوله تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾» [محمد: ٢٢، ٢٣]، حيث جعل قطيعة الرحم والعشيرة - ناهيك عن معاداتهم وتدمير وتحريق ممتلكاتهم - من الخلل في الولاء ومن أشد أنواع الفساد في الأرض.

كما كانت الدعوة إلى الصلاح والإصلاح هي دعوة كل العقلاء حتى من غير الأنبياء، فهاهم ملائكة الرحمن يسألون ربهم سؤال استفهام واستعلام، وذلك بعد أن أخبرهم أنه جاعل في

الأرض خليفة: «قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ» [البقرة: ٣٠]، فقد كان إبليس في حي من أحياء الملائكة، وكان مع الجن أول من سكن الأرض، فأفسدوا فبعث الله إبليس في جند من الملائكة فقتلهم ومن معه، حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، فلما فعل ذلك اغتر وقال: (صنعت ما لم يصنعه أحد)، فعلم الله ما في قلبه ولم تعلم الملائكة حتى ظهر على حقيقته ووقع منه ما وقع من رفضه السجود لآدم، وكان اختبار الله للناس وابتلاؤهم به.

وممن كان مضرب المثل في الصلاح ذو القرنين، وفي القرآن من خبره: «ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾» [الكهف: ٩٢ – ٩٥].

وهكذا جميع أنبياء الله ورسله ما جاءوا إلا لإصلاح البلاد والعباد، ويحكي لنا القرآن من ذلك ما كان من موسى حين قال لأخيه: «ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾» [الأعراف: ١٤٢]، وعندما خاطب قارون كان ضمن كلامه له: «وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾». [القصص: ٧٧].. ويحكي لنا أيضاً ما كان من أمر هود وقوله لقومه: «فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ» [الأعراف: ٧٤]، وما كان من أمر شعيب حين قال لقومه: «وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾» [الأعراف: ٨٥ – ٨٦]، وتعجب عندما تجد أن كلمة الصالحات جاءت مقرونة بالإيمان ٢٦ مرة، ناهيك عما جاء في وصف الله لأنبيائه دائماً بالصلاح، وما أكثره وحسبك منه قوله: «وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾» [الأنعام: ٨٥]، وقوله بحق إبراهيم: «وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾» [الأنبياء: ٧٢].

ولا غرو فالصلاح والسعي إلى الإصلاح هما سبب النجاة والتمكين «وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾». [هود: ١١٧]، وقال سبحانه: «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾» [النور: ٥٥].

على أن الإفساد وما يقابله إنما يجري وفق سنة الله الكونية في التدافع بين نوازع الحق والباطل والكفر والإيمان والخير والشر، كيما تدور عجلة الحياة وإلا لعم الفساد حتى يبلغ عنان السماء، وذلك قوله تعالى: «وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾» [البقرة: ٢٥١]، وقوله جل وعلا: «وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ» [المؤمنون: ٧١]، وإنما كان فساد السماء لحرمانها من إشراقات الأعمال الصالحة، إذ «إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ» [فاطر: ١٠]، وفي معنى ذلك قوله تعالى بشأن بعض أهل الضلال: «فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾» [الدخان: ٢٩].

ولأجل كل هذا كان نهي الله عن الفساد وبيانه لعاقبته الوخيمة في نحو قوله: «ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾» [الأعراف: ٥٥، ٥٦]، وقوله تعالى: «إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾» [المائدة: ٣٣].

نسأل الله أن يلهمنا وأولادنا وإخواننا رشدنا، وأن يجعلنا وإياهم من عباده الصالحين المصلحين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.. وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

كيفية التعامل مع الإشاعات والأراجيف

إعداد / عبده الأقرع

الحمد لله يهدي إلى الطيب من القول، ويهدي إلى صراط الحميد، وأصلي وأسلم على من أدبه ربه فأحسن تأديبه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن أهم ما يُميِّز المجتمع الإسلاميَّ: أنَّه مجتمعُ مودةٍ وتراحم، وتكاتف وتلاحم، ومحبة وتلاؤم، ولكنَّ مما يؤسف له أنه لم يخلُ مجتمعٌ من مجتمعات المسلمين من المنافقين الحاقدين، الذين لا يروق لهم أن يروا المجتمع المسلم مجتمعًا متآلفًا، يسعى بذمتهم أدناهم، وإذا اشتكى أدناهم اشتكى أقصاهم، ولكن الإسلام أحاط المجتمع المسلم بسياج منيع من داخله يحول دون تصدُّع بنيانه، وتزعزع أركانه، فأقام الضمانات الواقية، والحصون الكافية، الحائلة دون معاول الهدم والتخريب، فأرشدنا إلى كيفية التعامل مع الإشاعة والأراجيف حتى لا تزلَّ قدمٌ بعد ثبوتها وتنزلقَ في مجاهل الحوادث والأحداث، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين، قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾» [الحجرات:٦].

وإلا فكم أدى سوء الظن وعدم التثبت في الأخبار إلى أهوال ما بعدها أهوال، أُزهقت نفوسٌ، وضاعت أموال، وشتت أسر، وخربت بيوت، وقُطعت أرحام، ولقد سجل القرآن الكريم لنا شيئًا من الويلات التي أصابت المسلمين بسبب عدم امتثال أمر الله في التبيُّن والتثبت، اقرءوا إن شئتم سورة النور، وتأملوا الآيات المباركات التي سجلها القرآن الكريم في براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما اتهمها به المنافقون، وسار على دربهم هذا الاتهام تقليدًا من غير اتباع برهان ولا دليل نفر من المؤمنين الصادقين، فتنزلت الآيات تعلِّم المؤمنين كيف يواجهون الإشاعات، فقال تعالى: «لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾» [النور:١٢].

فهذه أول خطوة يجب عليك - أخي - اتخاذها، إذا بلغك عن أخيك أمر أن تظن به

ظنك بنفسك، فإن كنت تحسن الظن بنفسك، وتبرئ نفسك مما قيل فيك، وجب عليك أن تحسن الظن بأخيك وتبرئه مما قيل فيه، وتقول: «سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ» [النور:١٦] ما كان لأخي أن يقول هذا، أو يفعل ذاك، وتذكر قول أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه -: «ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من فم أخيك شرًا وأنت تجد لها في الخير محملاً». وقول أحد علماء السّلف: «ظلمٌ لأخيك أن تخفي تسعًا وتسعين حسنة من حسناته وتظهر سيئة واحدة من سيئاته». وهذا هو ما فعله بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم حين بلغهم ما بلغهم عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - «عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أنه قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: نعم. وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله، ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك». [مسند إسحاق بن راهويه ١٦٩٨ وتفسير ابن كثير: ٢٧٣/٣].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب ابنة جحش عن أمري، فقال: يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟» فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرًا، قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعصمها الله بالورع» [متفق عليه].

فكيف أدّب الله المؤمنين وعلمهم ما يجب عليهم تجاه الإشاعات، ولكن للأسف ترى كثيرًا من المسلمين لا يلتزمون بهذه التربية الإيمانية، فما أن يُذاع خبر عار من الصحة من المرجفين يستهدف سُمعةَ المؤمنين، والنيل من كرامتهم لإسقاط شخصيتهم بالإثم والبهتان، حتى يشيع ذلك الخبر في المجتمع كله، وتلوكه الألسنة من غير تثبت ولا تبين.

ومن ثمَّ يتم اختراق الصفوف، ونشرُ الفتنة على ضعاف الإيمان، قال الله تعالى: «لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾» [سورة التوبة:٤٧ - ٤٨]، فحسب هؤلاء ما توعدهم الله تعالى به: «لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾» [الأحزاب:٦٠- ٦٢]، وقوله سبحانه: «وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا» [الأحزاب:٥٨]، وقوله سبحانه: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ» [النور:١٩].

وعلى الفرد والجماعة وكلِّ مسئول ألا يقبلوا ما يصل إليهم من أخبار أو يُصدِّقوا الأقاويل في المؤمنين إلا بعد التثبت والتبيُّن، وينبغي أن يسود حسنُ الظنِّ بالمؤمنين، والثقة بحسن نواياهم، وتغليب جانب الصدق في أقوالهم.

فاحفظ أخي المسلم - رعاك الله - يدك ولسانك وسائر جوارحك عن أذى الناس، ولا تبع دينك بعَرَض من الدنيا قليل، ولا تبغ الفساد في الأرض، فقد قيل: إذا رأيتم المؤمن صموتًا وقورًا فقد سلك مسلك الحكمة، والمسلمان يجلسان بأمان الله، فلا يحل لأحدهما أن يفشي على أخيه ما يكره بغير حق.

ومن رُزق حياءً مع قلة أذى، وصلاحًا مع قلة كلام، وعملاً مع قلة فضول، فقد أوتي محاسن الأخلاق، وليكن حظ أخيك منك ثلاثًا: إن لم تنفعه فلا تضرَّه، وإن لم تُفرحه فلا تغمَّه، وإن لم تمدحه فلا تذمه، وحسبك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب». [متفق عليه]. نسأل الله العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة. والحمد لله رب العالمين.

الفروق الفقهية بين الأذان والإقامة

دراسة فقهية مقارنة

الحلقة الثالثة

إعداد/ د. إبراهيم بن مبارك السناني

الفرق بين الأذان والإقامة في مشروعية الترجيع
لا ترجيع في الإقامة بالإجماع، والترجيع سنة في الأذان عند المالكية، والشافعية، والحنابلة، خلافا لأبي حنيفة حيث قال: لا ترجيع فيه.

الجامع بين المسألتين: أن كلاً منهما إعلام.

الفرق بين المسألتين:

١- ما ورد من النص في الدلالة على مشروعية الترجيح في الأذان دون الإقامة.

٢- أن الأذان يكون في انفراد، فاحتاج إلى الترجيع، والإقامة في الجماعة فافترقا.

الأدلة:

استدل الجمهور على التفريق بين المسألتين بأدلة منها:

١- حديث أبي محذورة: «ثم ترجع فترجع صوتك».

٢- حديث سعد القرظي في صفة أذان بلال.

٣- أنه نقل أهل المدينة المتواتر عنهم وعملهم به المتصل.

واستدل الحنفية لمذهبهم بما يلي:

١- حديث عبد الله بن زيد.

وجه الدلالة منه:

قالوا: وليس فيه ترجيع.

٢- حديث أذان بلال، وابن أم مكتوم.

وجه الدلالة:

قالوا: لم يكن في أذانهما ترجيع.

٣- أن المقصود من الأذان قول: «حي على الصلاة، حي على الفلاح».

ولا ترجيع في هاتين الكلمتين، ففيهما أولى.

المناقشة:

ناقشت الحنفية الاستدلال بحديث أبي محذورة.

بأنه كان في ابتداء الإسلام، ويحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه فأحسن تعليمه، فظن أنه أمره بالترجيع.

وناقش الجمهور الاستدلال بحديث عبد الله بن زيد، بأن حديث أبي محذورة مقدم عليه لأوجه:

أ- أنه متأخر.

ب- أن فيه زيادة، وزيادة الثقة مقبولة.

جـ- أن النبي صلى الله عليه وسلم لقنه.

د- أن الترجيع عمل أهل الحرمين.

الترجيح:

القول بثبوت الترجيع في الأذان هو الراجح - والعلم عند الله -؛ لقوة مستند القائلين به.

وبناء عليه يكون الفرق صحيحًا.

الفرق بين الأذان والإقامة في التثويب

التثويب سنة في أذان الصبح عند جمهور الفقهاء من الحنفية، والمالكية في المشهور، والشافعي في أحد قوليه، والحنابلة.

الفرق بين المسألتين في التثويب في أذان الصبح دون الإقامة.

١- النص الوارد في ذلك، حيث جاء في حديث بلال: «ما أحسن هذا يا بلال! اجعله في أذانك». [الطبراني في المعجم الكبير (١/٥٥٣)]. كما جاء في حديث أبي

محذورة: «فإن كنت في صلاة الصبح، فقل: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم». ولم يرد مثله في الإقامة، وما روي عن بلال أنه قال: «أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أثوب في أذان الصبح ولا أثوب في غيرها»، ولم يرد مثله في الإقامة.

٢- أن صلاة الفجر وقت ينام فيه عامة الناس، ويقومون إلى الصلاة عن نوم، فاختصت بالتثويب لاختصاصها بالحاجة إليه، بخلاف الإقامة فإنها إشعار الحاضرين بدخول الصلاة فافترقا.

وبناء عليه يكون الفرق صحيحًا.

الفرق بين الأذان والإقامة في الأداء قبل الوقت

لا يؤذن لسائر الصلوات قبل دخول وقتها، وأما الصبح فإنها يؤذن لها قبل وقتها عند جمهور الفقهاء من المالكية، والشافعية، والحنابلة، وبعض الحنفية، فخرج بالأذان الإقامة فلا تقدم بحال.

خلافًا لأبي حنيفة ومحمد بن الحسن حيث قالا: لا يؤذن لصلاة قبل وقتها.

الجامع بين المسألتين:

أن كلا منهما محدد بوقت.

الفرق بين المسألتين:

أنه يؤذن للفجر قبل وقتها في الصبح دون غيره؛ لأن الصبح يدرك الناس نيامًا يحتاجون للتأهب لها وإدراك فضيلة الجماعة وفضيلة التغليس، وسائر الصلوات فإنها تدرك الناس متصرفين في معايشهم وأشغالهم فلا يحتاجون إلى أكثر من الإعلام بوجوبها، بخلاف الإقامة فلا تصح قبل دخول الوقت.

الأدلة:

استدل الجمهور على التفريق بما يلي:

١- قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم». متفق عليه.

وهذا يدل على دوام ذلك منه، والنبي صلى الله عليه وسلم أقره عليه، ولم ينهه عنه، فثبت جوازه.

٢- أن وقت الصبح يدخل على الناس وفيهم الجنب والنائم، فاستحب تقديم أذانه حتى يتهيئوا لها فيدركوا فضيلة أول الوقت، بخلاف سائر الصلوات فإنها تدرك الناس متصرفين في معايشهم وأشغالهم فلا يحتاجون إلى أكثر من الإعلام بوجوبها، وبخلاف الإقامة من باب أولى.

٣- قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يغرنكم أذان بلال عن السحور فإنه يؤذن بليل».

٤- أن وقت الفجر مشتبه، وفي مراعاته بعض الحرج بخلاف سائر الصلوات.

واستدل لأبي حنيفة ومحمد ومن وافقهما بما يلي:

١- حديث بلال: «لا تؤذن حتى يستبين لك الفجر هكذا، ومد يديه عرضًا».

٢- ما روى ابن عمر أن بلالاً أذن قبل طلوع الفجر، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع فينادي: «ألا إن العبد نام، ألا إن العبد نام». [أبو داود: ٢٣٥].

٣- أن الأذان شرع للإعلام بدخول الوقت، والإعلام بالدخول قبل الدخول كذب، وكذا هو من باب الخيانة في الأمانة، والمؤذن مؤتمن على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يجز كسائر الصلوات.

٤- أن الأذان قبل الفجر، يؤدي إلى الضرر بالناس؛ لأنّ ذلك وقت نومهم، خصوصًا في حق من تهجد في النصف الأول، فربما يلتبس الأمر عليهم، وذلك مكروه.

وقد ناقشت الحنفية استدلال الجمهور بحديث بلال: بأنه كان يؤذن لمعان ذُكرت في حديث ابن مسعود، وهي قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يمنعنكم من السحور أذان بلال، فإنه يؤذن ليوقظ نائمكم، ويرد قائمكم، ويتسحر صائمكم، فعليكم بأذان ابن أم مكتوم». والدليل على أن أذان بلال كان لهذه المعاني لا لصلاة الفجر أن ابن أم مكتوم كان يعيده ثانيًا بعد طلوع الفجر.

كما ناقشوا ما ذكره الجمهور من معنى الاشتباه: بأن هذا المعنى غير صحيح؛ لأن الفجر الصادق المستطير في الأفق مستبين لا اشتباه فيه.

الترجيح:

يترجح في نظري - والله أعلم - القول باختصاص صلاة الفجر بجواز أذانها قبل الوقت، لاسيما إذا كان لا يقتصر على أذان واحد، كما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وما ذكر من ضرر فإنه مرفوع بعلم الناس به، وعليه يكون الفرق صحيحًا.

الفرق بين الأذان والإقامة في رفع الصوت

يستحب أن يرفع الصوت بالأذان ما أمكنه - ما لم يجهده - ويرفع في الإقامة دون ما يرفع في الأذان عند جمهور الفقهاء من الحنفية، والشافعية، والحنابلة.

الجامع بين المسألتين:

أن كلا منهما نداء للصلاة.

الفرق بين المسألتين:

١- ما ورد من النص من قول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن زيد: «علمه بلالاً فإنه أندى وأمد صوتًا منك». فدل أن المطلوب فيه رفع الصوت، ولم يرد مثله في الإقامة.

وما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي سعيد رضي الله عنه: «إنك رجل تحب الغنم والبادية، فإذا دخل عليك وقت الصلاة، فأذن وارفع صوتك، فإنه لا يسمع صوتك حجر ولا شجر، ولا مدر إلا شهد لك يوم القيامة» [أخرجه البخاري ٩٠٦]. فدل على استحباب رفع الصوت فيه، ولم يرد مثله في الإقامة.

٢- أن الإقامة للحاضرين، والأذان للغائبين فاقتضى رفع الصوت للإسماع.

٣- أن الإقامة دون الجهد بالأذان؛ لأن المطلوب من الإعلام بها دون المقصود من الأذان.

وبناء عليه يكون الفرق صحيحًا.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

مجلة البحوث الإسلامية بتصرف يسير

القصة في كتاب الله

دروس وعبر وفوائد

مؤمن آل فرعون

الحلقة الثالثة

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعدُ:

أخي الكريم: هناك فوائد حان وقت استخلاصها، وثمرات حان قطافها في ختام قصة مؤمن آل فرعون؛ راجيًا أن ينفعنا الله وإياكم بها، ويمكننا بعون الله بيانها في النقاط التالية:

١- من الحكمة في الدعوة التدرج مع المخالف والتلطف في القول؛ تأليفا لقلبه وقلوب المخاطبين معه، وبخاصة إذا كان المخاطَب ذا بأس شديد وعتو مثل فرعون وأمثاله، وقد تدرج مؤمن آل فرعون مع قومه من التلطف في البداية، ثم إظهار خشيته عليهم، ورغبته في إنقاذهم من عذاب الله، ثم صدع بالحق واضحًا صريحًا.

٢- إذا صدق إيمان المؤمن صدقت لهجته، ووضحت عبارته، وقامت حجته، ولم يخشَ في الله لومة لائم.

٣- إذا صدق المؤمن مع ربِّه صدق الله معه ونصره في الدنيا والآخرة، وهذا الذي حدث مع العبد الصالح مؤمن آل فرعون، قال الله تعالى: « فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾» [غافر:٤٥].

٤- بمناسبة قوله تعالى: «إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾» [غافر:٥١]، فقد يقولُ قائل: كيف نفهم هذه الآية وقد قُتل من أنبياء الله وأوليائه من قُتل؟ وقد أورد ابن كثير هذا التساؤل على لسان ابن جرير - رحمه الله - وأورد إجابته عليه كما يلي: «يجابُ عن هذا بجوابين: أحدهما: أن يكون الخبر خرج على

وجه العموم، والمراد به بعض الرسل وليس جميع الرسل. والثاني: أن يكون المراد بالنصر الانتصار لهم ممن آذاهم، سواء كان هذا في حياتهم أو بعد مماتهم، كما فعل الله تعالى بقتلة يحيى وزكريا وأشعيا سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم. وأما الذين راموا صلب المسيح من اليهود، فسلط الله عليهم الروم، فأهانوهم وأذلوهم هذا في الدنيا، وفي الآخرة لهم عذاب شديد، ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى - عليه السلام - إمامًا عدلاً وحكمًا مقسطًا، فيقتل الدجال وجنوده من اليهود، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام [متفق عليه]، وهذه نصرة عظيمة وهي سنة الله في خلقه في قديم الدهر وحديثه».

ثم قال ابن كثير: وقال السدّي: «ما بعث الله رسولاً إلى قومه قط فيقتلونه أو قومًا من المؤمنين يدعون إلى الحق فيقتلون، فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا؛ فكانت الأنبياء والمؤمنون يُقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها». اهـ. مختصرًا.

٥- التدليس والكذب من سمات أعداء الرسل:

نعم هذه من سمات المكذبين بالرسل، وهذا فرعون يكذب ويدلس على قومه ويقول لهم: «ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» [غافر:٢٦]، سبحان الله من هذا المنطق المعكوس، فرعون يخشى أن يفسد موسى في الأرض، وهذا للأسف منهج أهل الباطل في كل زمان ومكان، وحين يعجز أهل الباطل عن الوقوف أمام حجة أهل الحق فليس أمامهم إلا البطش والكذب.

٦- الصراع بين الحق والباطل قديم متجدد:

وفي كل زمان ومكان، يقيّض الله رجالاً يصدعون بكلمة الحق أمام الباطل، وينصرون رسل الله مهما تكلفوا من مشقة.

فقد هيأ الله لموسى هذا الرجل القبطي في بلاط فرعون يذود عنه، وهذا يذكرنا بموقف أبي بكر رضي الله عنه حين وقف يدفع المشركين عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم في مكة، روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ورفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ» [غافر:٢٨] [البخاري ٥٤٣٧].

٧- «إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم» [غافر:٢٧].

قالها موسى عليه السلام في مواجهة صولة الباطل الذي أعلنه فرعون، ليس أمام موسى إلا أن يستعيذ بالله الذي له مقاليد السماوات والأرض والذي يجير ولا يُجار عليه، إنه رب موسى وربهم ورب العالمين، استعاذ به موسى من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب من أمثال فرعون ومن معه، وهذا مسلك الأنبياء والصالحين في كل زمان ومكان، ومن يتوكل على فهو حسبه.

٨- علينا أن نحرص على نصرة دين الله، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بفهم السلف، وأن نتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أموره حتى يكون لنا الفوز في الدنيا والآخرة ، اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

والحمد لله رب العالمين.

دلائل عظمة القرآن



إعداد / مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، وبعدُ:

فما يزال حديثنا متصلاً حول دلائل عظمة القرآن وكماله وجلاله.

التنويه بالقرآن في مفتتح السُّور:

فمن دلائل عظمة القرآن العظيم أن الله تعالى نوَّه به في مفتتح أربع وثلاثين سورة، منها قوله تعالى: «الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾» [البقرة:١– ٢]، سمَّى الله تعالى القرآن الكريم بأنه (الكتاب)، وكلمة (قرآن) معناها: أنه يُقرأ، وكلمة (كتاب) معناها: أنه لا يُحفظ فقط في الصدور، ولكن يُدوَّن في السطور ويبقى محفوظًا إلى يوم الدين، والقول بأنه (الكتاب) تمييز له عن كل كتب الدنيا، وتمييز له عن كل الكتب السماوية التي نزلت قبل ذلك.

فالقرآن هو الكتاب الجامع لكل أحكام الله تعالى، منذ بداية الرسالات حتى يوم القيامة، وهذا تأكيد لارتفاع شأنه وتفرده وسماويته، ودليل عظيم على وحدانية مُنَزِّله جل جلاله.

ولقد نزلت على الأمم السابقة كُتبٌ تحمل منهج الله تعالى، ولكن كل كتاب نزل وكل رسالة نزلت موقوتة، في زمانها ومكانها حتى جاء الكتاب الخاتم والمهيمن عليها جميعًا، والجامع لمنهج الله سبحانه فيما ذُكر فيها، ولذلك بُشرَ في الكتب السماوية السابقة بأن هناك رسولاً سيأتي، ويحمل الرسالة الخاتمة للعالم، وعلى الذين يصدقون بمنهج الله أن يتبعوه، قال الله تعالى: « ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ » [الأعراف:١٥٧].

والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي لا يصل إليه أيُّ تحريف أو تبديل أبدًا، فكُتُبُ الله السابقة ائتمن الله البشر عليها، فنسوا بعضها، وما لم ينسوه حرّفوه، وأضافوا إليه من كلام البشر ما نسبوه إلى الله سبحانه وتعالى ظلمًا وبهتانًا، ولكن كتاب الله العظيم محفوظٌ من الله تعالى: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾» [الحجر:٩]، وتأمل ضمائر العظمة في الآية الكريمة لتعلم أنه الأتم في العناية الإلهية غير قابل للاختراق، ومعنى ذلك ألا يرتاب إنسان في هذا الكتاب؛ لأن كل ما فيه من منهج الله محفوظ منذ لحظة نزوله إلى قيام الساعة.

وهذا النزول والحفظ الدائم له يستوجب حمد الله تعالى: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾» [الكهف:١]، وفي السورة نفسها بيَّن الله تعالى أن هذا الكتاب لن يستطيع بشر أن يبدّل منه كلمة واحدة، كما قال الله تعالى: « وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾» [الكهف:٢٧]. [تفسير الشعراوي ١/ ١١٠]

وقوله تعالى: «لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ» [الكهف:٢٧] معناه: «لا مُغَيِّرَ للقرآن».[تفسير النبوى ٣/ ١٥٨]

وقد نوَّه الله تعالى أيضًا بالقرآن العظيم في مفتتح

سورة آل عمران، فقال تعالى: «الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣» [آل عمران:١-٣]. وهكذا نعرف أن (الكتاب) نزل ليؤكد لنا أن الله واحد أحد لا شريك له، وأن القرآن يشتمل على كل ما تضمنته الشرائع السماوية من توراة وإنجيل وغيرها من الكتب السابقة.

ونزل القرآن أيضًا ليُفرِّق بين الحق الذي جاءت به الكتب السابقة وبين الباطل الذي أضافه أولئك الذين ائتمنوا عليه.[تفسير الشعراوي ١/١١٣]

الحديث عن القرآن في أواخر السور:

ومن دلائل عظمة القرآن كذلك الحديث عنه في أواخر السور، والتي بلغ عددها ثلاثًا وعشرين سورة، من ذلك قوله تعالى: «نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥» [ق:٤٥]، وقوله تعالى: «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠» [المرسلات:٥٠]، وقوله تعالى: «بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢» [البروج:٢١، ٢٢].

يعني: ليس القرآن كما يقولون من أنه شعر أو كهانة أو سحر، بل هو قرآن عظيم بلغ ذروة المجد وعلو الشرف حتى صار مهيمنًا على سائر الكتب المنزلة، وهو كتاب كريم؛ لأنه كلام رب العالمين، فهو عظيم الكرم فيما يعطي من الخير، جليل القدر، وهو كريم لما يعطي من المعاني الجليلة والدلائل النفيسة.

يقول الشوكاني رحمه الله: «ثم رد الله سبحانه تكذيبهم بالقرآن فقال: «بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١» [البروج:٢١]، أي: مكتوب في لوح، وهو أمّ الكتاب، محفوظ عند الله من وصول الشياطين إليه.[فتح القدير للشوكاني ٥/٥٨٦]

القسم بالقرآن وعليه

ومن دلائل عظمة القرآن العظيم أن الله تعالى أقسم به وعليه، وقد جاء القسم بالقرآن وعليه على صفات ثلاث:

الصفة الأولى: أقسم الله تعالى بالقرآن في ثلاث سور:

في قوله تعالى: «يسٓ ۝١ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣» [يس:١-٣]، وفي قوله تعالى: «صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ ۝١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢» [ص:١ - ٢]، وفي قوله تعالى: «قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ۝١» [ق:١].

الصفة الثانية: أن الله تعالى أقسم على القرآن في ثلاثة مواضع أيضًا:

منها قوله تعالى: «وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝١١ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝١٤» [الطارق:١١ - ١٤].

الصفة الثالثة: أن الله تعالى أقسم بالقرآن وعلى القرآن في موضعين:

في قوله تعالى: «حمٓ ۝١ وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣»

[الزخرف:١-٣]

ومن المعلوم أن المُخاطَب إن كان على الفطرة التي خُلق عليها، تلقَّى الخَبَر بالقبول والإذعان فإذا ما اعتراها ما يشوبها، ويكدرها، كانت في حاجة إلى توضيح الخبر وبيانه حتى تؤمن به وتنقاد له، فإذا أصيبت بضعف فوق ضعف، فأنَّى لها أن تسمع أخبارًا أو تُبْصِر برهانًا بدون قسم وتأكيد.

والمُقسِمُ إذا ما أراد تحقيق أمر أو تأكيد خبر أمام مخاطب منكر أو نحو سامع معرض فإنما يُقسِم بأمر عظيم - لأن التعظيم من لوازم القَسَم - وذلك ليزول إنكار المنكر ويقبل المعرض. والله تبارك وتعالى أقسم - مرة - على تحقيق إنزال الكتاب، فقال الله تعالى: «لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠» [الأنبياء:١٠].

فهذا كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقيقة القرآن العظيم، الذي ذكر في صدر السورة الكريمة إعراض الناس عما يأتيهم من آياته واستهزاؤهم به، وتسميتهم تارة سحرًا، وتارة أضغاث أحلام، وأخرى مفترى وشعرًا،...

قد صدر بالتوكيد القسم لمزيد الاعتناء بمضمونه، وإيذانًا بكون المخاطبين في أقصى مراتب النكير، أي: والله لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش (كتابًا) عظيمَ الشأن ينير الأذهان». [تفسير أبي السعود: ٦/٥٨].

وأخرى يقسم جل شأنه - بكل ما في الوجود من صفات حميدة وآيات عجيبة على صدق القرآن وعظمته وأنه أعلى من تسميتهم الكاذبة، وأسمى من افتراءاتهم الباطلة، فيقول تبارك وتعالى: «فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ۝٤٣» [الحاقة:٣٨ - ٤٣].

وقد جمع الله في هذا القسم كل ما من الشأن أن يُقسَم به من الأمور العظيمة من صفات الله تعالى ومن مخلوقاته الدالة على عظيم قدرته؛ إذ الأرض والجبال والبحار والنفوس البشرية والسماوات والكواكب، وما لا يبصرون: الأرواح والملائكة وأمور الآخرة [التحرير والتنوير لابن عاشور ٩٢/١٣٠]

وثالثة يُقسم - عز وجل - بالقرآن على أنه المعجز؛ لكونه من لدنه؛ إذ لو كان من صُنع بشر لما عجزوا عن معارضته؛ لكونهم أرباب اللغة التي نزل بها، أو يقسم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعواه الرسالة، يقول الله تعالى: «قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢» [ق:١، ٢].

ويقول عز وجل: «صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ ۝١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢» [ص:١-٢]، فقد أقسم الله تعالى بالقرآن قسَمَ تنويه وتشريف، ووصفه بـ «ذي الذكر»؛ لأن «ذي» تُضاف إلى الأشياء الرفيعة الشأن.

والمختار في جواب القسم وجهان:

أولهما: أنه محذوف دلَّ عليه حرف (ص)، فإن المقصود منه التحدي بإعجاز القرآن وعجزهم عن معارضته بأنه كلام بلُغتهم ومؤلَّف من حروفها، فكيف عجزوا عن معارضته؟!

فالتقدير: والقرآن ذي الذكر إنه لمن عند الله، ولهذا عجزتم عن الإتيان بمثله.

وثانيهما: أن الجواب محذوف أيضًا، دل عليه الإضراب الذي في قوله تعالى: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢» [ص:٢]، أي: يجحدون أنه ذكر، ويقولون: سِحرٌ مفترى، وهم يعلمون أنه حق.

ولا ريب أن القسم بالقرآن وعليه، فيه تنويهٌ بشأنه، وإبراز لعظمته وشرفه ومنزلته الرفيعة عند الله تعالى. وللحديث بقية

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.